الى القارئ

فلسطين والاستعمار التهجيري

في العشرين سنة الماضية التي خطت فيها مجلة « الفكر » مع الشعب التونسي خطواته الاولى في الخروج من الاستعمار بعد كفاح تحريري طويل كانت مثل هذا الشعب الحر متيقظة دائما لقضايا الحرية والعدل والكرامة ، مكافحة بالقلم الى جانب الشعوب المستميتة في سبيل اثبات وجودها وتقرير مصيرها ، مشاركة باعدادها الخاصة وغير الخاصة في نصرة الحق واعلاء كلمة الحرية بالنسبة لجميع القضايا سواء كانت القضية الجزائرية او الافريقية بصورة عامة او غيرها وبالاحرى القضية الفلسطينية ·

وقد اردنا بهذا العدد الذي ندخل به السنة الواحدة والعشرين من حياة المجلة وننطلق به في الربع الاخير من القرن العشرين ، ان يكون عددا خاصا بقضية فلسطين ، قضية البشرية قاطبة اليوم ، لانها ليست ، لو تدبر العالم ، قضية العرب والعروبة فقط ، بل هي لون آخر من ألوان الاستعباد والاستعمار والامبريالية التي نالت البشرية في الماضي وسكت عنها الناس لانحصارها في المكان وما لبثت ان استشرت وقادت الانسانية الى شفا هوة المحق والضياع ·

ذلك ان هذا الذي عاناه شعب فلسطين بعيد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها الى اليوم ، وذاق الامرين منه العرب سنوات طويلة ، ولم يزالوا ، إنما هو صنو ذاك الذي قامت من اجله الحرب العالمية الثانية وتضافرت فيها جميع القوى المؤمنة بالحرية والكرامة ، والمحبة للسلام ، والمشبعة بالمبادىء الانسانية ، لمقاومة النازية والفاشية المقامتين على العنصرية العرقية والكبت واحتقار الذات البشرية ·

ولقد استبشر العالم عندما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وافاقت شعوب كثيرة كانت تسلط الاستعمار على غيرها واعلنت عن عزمها على طي صفحات الماضي مما اعان شعوبا عديدة كانت تقاوم منذ زمان الاستعمار

التوطيني على زحزحة نيره والخروج منه ظافرة منتصرة • وحسب العالم كله ان الاعين قد فتحت وتيقظت الى جميع ألوان الاستعمار تنكره وتتبرأ منه : الاستعمار الايديولوجي ، الاستعمار التوطيني ، الاستعمار الجديد وغيره ، فلم نجد فترة تمر دون ان تعلو اصوات الاحرار فى العالم تندد بنوع من هذه الانواع وتصفه وتحذر من ويلاته على البشرية وأخطاره على السلم فى العالم•

غير ان مولودا جديدا ولد وترعرع فى الربع الثالث من القرن العشرين وباركته معظم دول العالم وخاصة الكبيرة منها ونشأ فى غفلة من البعض وتغافل من الكثير ، وهلل له من هلل وأعانه من أعان ، وليس المولود هو مجرد دولة اسرائيل بل استعمار جماع لكل انواع الاستعمار التى سبقته ألا وهو الاستعمار التهجيرى •

فهو يعتمد ، مثل النازية ، العرقية والعنصرية لانه ليس لاى كان فى اسرائيل اذا لم يكن يهوديا ، الحق فى التمتع بنفس الحقوق والواجبات فالفلسطيني اصيل الارض مآله اما الهجرة او البقاء فى وضع ادنى ، لا تفتح فى وجهه الوظائف العليا ، ولا مناطق النفوذ الاساسية فى الدولة ، وهو مضطهد مكبوت مطارد •

وهو يعتمد ايضا مثل الفاشية الامتثال والانضباط العسكريين اللذين يمتدان الى الحياة المدنية لان الحرب هى اعلى وظيفة فى الدولة والنشاط العسكرى هو اسمى من كل شيء بحيث ان الحرب هى الاداة الوحيدة للتعامل مع الاجوار وفرض وجهة النظر •

وهو أيضا مثل الاستعمار التوطيني يحل فى الارض اناسا لا روابط لهم بها إلا وهمية خرافية ويكون همه هو الاستحواذ على كل الخيرات ومسكها بالاغتصاب وغيره من الطرق التى عرفت فى تونس والجزائر والمغرب : ابتزاز الارض ، افتكاك الموارد الاقتصادية فرض اللغة والثقافة •

ولكن هذا الاستعمار له ميزة اخرى لم تعرف الا فى القرون الخوالى وهى طرد اصحاب الارض الاصليين من وطنهم واعتبارهم اجانب وتهجيرهم ومهاجمتهم حيثما كانوا على مرآى ومسمع من العالم بل ان الامر يتعدى ذلك الى تنظيم هجرة اليهود وتنظيم تهجير الفلسطينيين •

هذا هو الاستعمار التهجيرى فى أبشع مظاهره لم يعرف العالم مدى خطره عليه فى اول الامر ولكنه عندما رأى الشعب الفلسطينى المعتز بشخصيته والمتأصل فى حضارته وقوميته والآخذ بأسباب العصر يثور مثلما ثارت أوروبا امام النازية والفاشية ويثبت وجوده امام العالم لكل الطرق بما فيها العنف وعندما شاهد مدى ما جره هذا الاستعمار فى منطقة الشرق الاوسط من الحروب ومن إمكانية تطاحن العملاقين فى حرب اخرى ربما تبيد البشرية وعندما شعر بأن الاقتصاد العالمى يمكن ان ينهار بسبب تضامن العرب مع الشقيقة فلسطين كل هذا قد اشعر العالم بأن القضية تتعدى مجرد ازمة بين اسرائيل والعرب بل انها بوادر الكارثة يجب قطع دابر اسبابها فى قطع دابر هذا الاستعمار .

هذا هو صلب الموضوع بالنسبة للقضية الفلسطينية ، فمن واجب رجال الفكر والادب ان يتوجهوا الى العالم ليشعروه بمدى خطورة هذه القضية ويثبتوا له ان السكوت عما تقترفه اسرائيل من جرائم ازاء هذا الشعب بالابادة تارة وبالمسخ تارة أخرى انما هو جريمة فى حق البشرية مثلما سكت القوم طويلا امام النازية والفاشية سابقا .

هذا العدد الذى ساهم فيه الادباء والكتاب التونسيون الى جانب اشقائهم الفلسطينيين بالبحث او القصيدة او القصة انما هو نداء للاحرار فى العالم لينظروا الى ماساة الشعب الفلسطينى النظرة الجدية لان هذا الشعب قد اغتصب بعد ببطولاته وبشرعية قضيته وبعزيمته فى النصر اعجاب العالم وانه ما ضاع حق وراءه ثائر ..

البشير بن سلامة

ارجوحة الفرح

شعر : يوسف الخطيب
(فلسطين)

كأول قبلــة ..
لرضاب ثغرك نكهة الاحلام
اجنحة الغمام ،
لمقلتيك شفافة الانداء ..

كأول قبلــة ..
لحنان صدرك لهفة الاسفار
شربت ملح البحر
لك الرؤى ، وقصائد الشعراء ..

كأول قبلــة ..
شفتاى ترتعشان فى شفتيك
من ظمئى اليك
شربت ملح البحر
ترجمت السراب غمامة وطفاء ..

ومن انا .. ليت غيرك
يسأل الآفاق عن خبرى ..
لأن الى ندى شفتيك
هجرة أضلعى ،
وعليهما ذكرى ..

لانك .. تعلمين ..
انا المغامر من قفار الشرق
جزت اليك سبعة أبحر ،
واليك جزت هجيرة الصحراء ..

وكنا اثنين .. وحدهما ..
هنا التقيا صباح الدهر :
طائر صدرى النارى
يهبط تونس الخضراء ..

وها انا عدت من صور
اعيدى انت لى صورى ..
قفى بالشاطىء الشرقى
عند قديم موعدنا ،
وعدى الموج .. وانتظرى

لأنى قد عددت اليك أبراج النجوم ،
حفظت اسماء الغيوم ،
طفقت تحت الشمس والقمر ..

فخلى الليل موعدنا ..
ومنديلا .. وضوء سراج ..
كليلة حبنا الاولى ..
وكلمة سرنا .. قرطاج ..

أسر اليك .. عفوك .
اننى حاف
أجر القيد فى قدمى ..
وأن خواطرى جن
مصفدة ..
وان الماء ملء فمى ..

وها انا عدت ..
أقرأ فيك بوصلتى ،
لا وجه . ولا تذكار ..
عشية جف وجهى
فى حزيران ..
وجلدة جبهتى
سلخت على أيار ..
فصبى الآن خمرتك العتيقة
ملء ذاكرتى
أضعت هويتى بالقدس
واحترقت ..
ألا احترقى
منارة ليلتى العمياء ..
خذى رأسى لحضنك
بى دوار البحر من يافا ،
وها عيناى .. فى عينيك ..
تغتسلان فى قزح ..
فهزينى لصدرك ..
غيبينى فيك
يا ارجوحة الفرح ..
لأن اثنين .. وحدهما ..
هنا افترعا على الدنيا
بكارات الرؤى العذراء ..
لانك بدء ذاكرتى ..
وثغرك قطر داليتى ..
وأنت قريحتى .. وجنون إلهامى ..
قصصت عليك رؤيا يوسف
فدعى رحيق لماك
فى تفسير أحلامى ..
ولم اركب جنون البحر
الا فى شفاعة انك الميناء ..

ولكنى ..
نسيت على رصيف القدس
أمتعتى .. وأوراقى ..
فمن أنا .. لست أعلم ..
صب لى حتى الفجيعة ايها الساقى ..
أسر اليك انى ضعت ..
صرت طريدة القانون
عند بطانة الملك ..
أسر اليك انى قد نزلت
بخانة الافيون
بين محاضر الدرك ..
لأنى قد شردت الى ضياء غد
يضل يلوح فى ظلمات احداقى ..
وكنت تركت جدران المدينة
تكتسى رسمى ..
وصار اسمى
مهرب ثورة .. وشريد آفاق ..
فخذ صحوى ،
وزد حتى الفجيعة .. ايها الساقى..
وأعلم أن لى اضبارة سوداء ..
كالزفت ..
لدى القسيس .. والحاخام ..
والمفتى ..
وعبر مراكز التفتيش اخبارية عنى
بأن قصائدى ، فى النفى ، زندقة ..
وتسكن فى روح مغامر شرير ..
لذلك مفرزات الأمن تطلبنى ..
ويشطبنى الرقيب
وأسرة التحرير ..
وها أنذا أساق لغرفة التحقيق
من نومى ..

وأجلد .. والخليفة يستزيد ..
بتهمة الحلم ..
لأني قد خلعت على تماثيل المدينة
رث اسمالي
وجئت اليك فى عرى البراءة ..
جئت ..
فى حمى هنيبال ..
أسابق خيل اخيلتى
وأصدر عنك ، سيدتى
أسرح فى جبال الثلج أفيالى ..
وها أنذا الى جبل بأعلى القدس
أصعد ..
ثم يصلبني يزيد بحائط الكعبه ...
لأنى خنت أصنام القبيلة ..
وحدها .. سميتها .. النكبة ..
لأنى بحت للحراس ..
أنك انت صاحبتى
وأن اسمى على برق الدجى .. عقبة ..

وظل دمى .. دليل سياحة ..
بالقدس ..
تمخر فيه خيل الروم .. للركبه ..
وجزت اليك سبعة أبحر
ووصفت وجهك للنجوم
حفظت اسماء الغيوم
فلو اكون على هياج البحر ملاحا
وأنت
يكون دافىء صدرك .. الميناء ..
كليلة حبنا الاولى ..
أطير على ندى شفتيك
حتى مطلق الانسان ..
اغرق فيك
حتى وحدة الأشياء ..
لأن اثنين .. وحدهما ..
هنا التقيا صباح الدهر :
طائر صدرى النارى
يهبط تونس الخضراء .. (*)

(*) فى رسالة الى محمد مزالى مدير المجلة يقول الصديق الشاعر يوسف الخطيب : « .. أبعث طى هذه الرسالة بنص « القصيدة التونسية - أرجوحة الفرح » وهى التى نظمت أبياتها الاولى تحت سلطان ذلك الفرح الغامر الآخذ بمجامع اللب ، لدى اكتحال عينى لأول مرة بربوع الوطن التونسى الحبيب ، من خلال مؤتمر الأدباء سنة 1973 ، وها أنذا أزجى بها اليك لعلها تأخذ مكانها على صفحات «الفكر» علما بأنه سبق لى ان نشرتها فى مجلة « المعرفة » الصادرة بدمشق ..

..وهذا فى الحقيقة هو كل ما فى استطاعتى للتعبير عن أعمق مشاعر الغبطة والفرح التى استوطنت قلبى بفضل تلك الأيام القليلة الجميلة التى قضيتها فى مختلف الربوع التونسية .. »

شكرا للصديق على هذه المشاعر ورجاؤنا أن نستقبله فى وطنه الثانى تونس أكثر من مرة وتحية خالصة له ولرفاقه فى الكفاح من أجل الوجود والكرامة **(الفكر)**

الاعراس واصوات البنادق

قصة ، بقلم : حكم بلعاوى (*)

منذ ان اشترى السيارة الصغيرة الحمراء ، كان يعتقد انه سيفتت ضيقا كبيرا خيم على صدره .. اراد ان يهرب الى كل ثقب .. يطارد السراب ليفرك فى انفه ملح انفاسه .. لم يعد قادرا على الانزواء فى ركن بيته يفتش كتبا متناثرة ، واوراقا كثيرة مختلطة ، لقد عب احداثا كثيرة حتى روى بطنه .. ومع ذلك لم يتمكن ان يفعل شيئا ، اكثر من ذرف دمعة سقطت رغما عنه على خده وهو يقدر ان اعراسا فى قريته قد حكم عليها ان تصلب .. ان ايا كان سوف ينظر اليه على انه جاهل فى قيادة السيارة تلك وانه عاجز ان يدفعها الى الانطلاق حتى ولو كانت على بطن صحراء عربية نقية .. لا شك انه يحس بضرورة فعله هذا دائما .. فهو مجهد النفس فى معظم أوقاته .. معروق الجسم .. تنتابه قشعريرة سخية حين تجتاحه مآسى ذكريات لها شعاب واسعة متواصلة ..

لقد حلا له هذه المرة ان يهرب الى ميدان فسيح للعبة كرة القدم ، رافقه صديق له اشتهر بأنه لا يخوض حديثا مهما كان وزنه ، يحفظ كلام معظم الجلسات ، فيرددها كآراء له دون مراعاة لها ان كانت متناقضة او متلائمة .. ويتبعها بابتسامة تكاد تكون ميتة هامسا لمن حوله « دنيا عجيبة وهم العالم لا ينتهى »

لقد انتحى وصديقه الاصلع مكانا يستطيع ان يبصر منه الجموع واللاعبين على السواء وبشكل معقول كان صديقه يلحس شفتيه اثر كل مضغة من سيجارته التى لا تنطفىء .. ينظر اليه شاردا فى جموع اللاعبين دون ان ينتفض له قلب او تتحرك يد . فى وقت تتراقص فيه اجسام كثيرة عند كل ضربة عنيفة.. أما هو فقد رأى أن يتفرس وجوه الحاضرين اكثر من ان يعير ادنى انتباه لحركات الكرة التى تنطحها رؤوس وتركلها أقدام .. اشبه بفريسة منهارة .. لقد أحس .. انه يشارك صديقه الاصلع على ان التسلية لم ترتفع الى مستوى تمزيق الهم الذى يسود قلب كائن ضرب على يافوخه ضربة لئيمة عبثت بشعوره

(*) الأستاذ الأديب حكم بلعاوى هو ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بتونس.

طيلة اللحظات ٠٠ مع ذلك فانه يبصر هنا فى الميدان اجساما تتصادم وسرعان ما تتصافح ٠٠ قلوب عربية تعودت على مر الايام معنى الحب والاباء شرد باحلامه ٠٠ انه يريد ان ينتقل بكل هذه الجموع ليرحل بها الى مكان واحد نبخر بانفاسها ظلاما وهموما لحقت ببلده ٠٠ اجهده التفكير ٠٠ حتى ظن انه لم يعد قادرا ان يرى شيئا ٠٠ لقد مسح عرقه مرات متعاقبة ٠ ادركه تبرم ضجت أعصابه معه ٠ شد صديقه الاصلع من كمه ، لم ينتبه ٠٠ انه كعادته تماما ـ يرخى نفسه ولا يتحرك من غير ان يوقظ فى النفس شعورا بخطأ ٠٠ له قلب كبير يغمره الصفاء ، تركه وانسحب من الموقف ، خطا خطوات ثقيلة ومن ثم انطلق كهارب من قفص ، الاندحار وحده يطارده ، يريده ان يقع أسيرا بين فكيه لكنه يتجلد طيلة أوقاته٠٠يترنح كثيرا وما اسرع ان ينتفض رافضا ان تلوكه ألسنة الفشل فى اية لحظة يقع على انفه مرة ، لكنه بأصابع متماسكة يمسح الوحل ويعاود السير من جديد ٠٠ قلبه يحدثه بالصمود دائما ٠٠ يؤكد له ان لا شىء يستطيع أن يقهر قلبه ، احب ارضه ٠٠ كما تحب الفراشة الزهرة ٠٠ انها واحدة من نوبات انفعالاته يطردها بانفاسه كما تطرد الاقدام تلك الكرة ٠ ادار مفتاح السيارة واطلق زامورا متواصلا كى يتعدى الامكنة سريعا ٠ ولاول مرة احس ان السرعة شىء معقول ، هكذا الحياة قفزات متلاحقة كالريح ٠٠ يجب الا تسبقه فى شىء ، سيبقى الجواد العربى الاصيل ، كان العرق ينز من جسمه بلا تريث ورأى نفسه بلا شعور يعرج على أقرب طبيب على خط سيره ٠ امتص دخانا كثيرا الى جوفه وسعل طويلا وهو يتفرس وجه الطبيب والغرفة وأثاثها ٠٠

٠٠ (نعم) ٠٠ قالها الطبيب وهو ينظر اليه جادا ٠

٠٠ احس بنوبة عنيفة تأكل جسدى ٠

٠٠ هل انت مريض من قبل ؟

٠٠ لم امرض طيلة عمرى ٠٠

وابتسم الطبيب وهو يردد (اذن انت سليم معافى الا من هذا السعال)

٠٠ دعنى اسعل ملء العالم ٠ جدية واضحة ارتسمت على وجه الطبيب الذى تقدم منه سائلا اياه ان يستريح على كرسى قريب منه ٠٠ ونظر اليه متأملا ٠٠

٠٠ حدثنى ما عندك ٠

٠٠ احس العالم كرة هاربة منى ، اريدها ٠٠ اريد ان امسكها مرة واحدة بيد عربية قوية اعصرها ٠٠ احس اننى سأدمر كل شىء حولى ، لكن نيوب الشمس عمارة فوق رأسى اقسم الا انهار ابدا ٠٠

•• نوبة محب ••

•• محب تماما ، فلسطين •• عشقتها منذ ان ولدت على اديمها ، ارضاً عربية حكت لمياه البحر المتوسط اصدق الحكايات •• اوقف تيار الاختناق عن حلقى ما استطعت اقسم الا انهار • هنا ••

•• لن تفنى الا على اديم ارضك •

فجأة صافح الطبيب بحرارة عنيفة وانطلق وهو يملأ قلبه بعلاج كبير ، انه قسم واحد فى كل قلب ، لقد تمزقت نوبة الافتعال لحظته تلك •• وصعد الى اذنيه اكثر من اى وقت مضى هدير السيارة عنيفا كانطلاقتها •• كانت كل الاشياء فى طريقه موجا زاخرا •• العمارات الشامخة والدخان المتصاعد والاقدام المتحركة •• كلها تكون سلسلة عريضة من حلقات وجوده وارتفاعه ، لن يستطيع شىء ان يثنيه عن سيره الكبير ، اية وقفة مهزوزة من وقفات تاريخه طال رقادها •• ؟ انه لا يذكر شيئا من هذا طيلة ايامه ، لقد حفظ تاريخه بروية •• وانتشى نشوة غزلان صحاريه الممتدة • مع كل حقبة سيبقى هكذا ليمتص شعاع الشمس يملأ قلبه ورئتيه ليكون بركانا ثائرا طيلة ازمانه •

ليس عليه ان يتوقف رغم سيول عرقه التى تسيل دائما على عينيه وخده ، فللعرق عنده معنى آخر لا يدرك طعمه الآخرون من غير جنسه •

كانت انتعاشة الهواء المتسربة الى السيارة تغمر يديه ووجهه فينتشى مع انطلاقة السير وهو يستعيد ذكرى رحلاته فوق شوارع بلده •• وعلى مرمى الاتجاهات تتطاول منابع حياته فى كل زاوية ويتنفس طويلا دون ان يوقف زحفه احد ، دائما كان يزهو كثيرا وهو يشاهد مواطن الجمال تنبت فى ارضه فيصفق قلبه مرحا ، ويغمره عناد يدفع معه ثمنا غاليا من التصميم للمحافظة على تراثه •• لقد انبثق فى كبرياء لا يقل عن روعة ذلك الجمال الممتد •• عربى يطفح فؤاده بالحب والحركة لم يكن غير هذا ذات يوم ••

سيبقى رغم الاهوال يستعيد الحياة كلما حاول احد ان يسلب منه لونها النقى •

ومع هذا الضجيج المتواصل فى اعماقه كانت اصابع يده تجوس خلال شعره ما بين الفينة والاخرى ويعدل من جلسته خلف مقود السيارة كمن يحاول ان يقفز •• وبات واثقا من حركاته تلك ، كانت معنى واضحا لمعركة خالدة لها طعم يروق له وتترك على شفتيه ابتسامة وزعها على أهل بيته وهو يشق الطريق بينهم •

٠٠ زوجه كثيرا ما يلذ لها ان ترعى شؤونه ، وطفلان آخران ينهبان احلاما طويلة من مآقيه ونظراته الصامدة ٠٠ جلست امامه ترقبه وهو يحاول ان يتكلم، كأنه يود ان يسترسل في طرح ما تعلقت به من افكار متلاحقة لكنه ابتسم وهو يربت على كتفها شاعرا ان الصورة تلك مكتملة في ذهن زوجته في كثير من الوضوح والانسجام ٠٠

وتحركت اقدامه ٠٠ محاولا ان يقلب بيديه بعض الكتب المطروحة فوق الطاولة ٠٠ لكن زوجته احست ان لحظات الارتياح التي تموج في عينيه كافية لتكلمه ٠ فاقتربت منه وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ٠٠

٠٠ابو محمود جاء ودعانا الى حفلة زفاف ٠٠ هذه الليلة قال انه سيحضر لنرافقه ٠٠

٠٠ لماذا ؟

٠٠ دعانا الى حفلة زفاف ٠٠

لوى رأسه قليلا ثم همهم ، كان يقدر كما تعود ان زوجته لن تصاب بقشعريرة يأس في أي قرار يتخذه ٠٠ وانطلق صوته في حركة قيادية ٠٠

٠٠ ستبقى اعراسنا مشدودة بحبال مسدية طويلة حتى تفكها ايدي الحسان في بلدي الذي تعكر لون الصفاء في عينيه الحالمتين الكبيرتين ٠٠ انا مطمئن الى هذا الامر ٠٠ الثوار يدخلون في جوف الظلام وحتى في رابعة النهار ٠٠ عيونهم بارقة ، واسلحتهم لا تسقط من ايديهم رغم البرد وسقوط الثلج الابيض في كل الفصول ٠

ومع صمته كان ينظر الى وجه زوجته المشرق في الوقت الذي كان بين يديها قلم يخطط على ورقة ملقاة امامها جملة متكررة (عيونهم بارقة ٠٠ عيونهم بارقة) بينما راح هو يطلق صفيرا ريفيا في جوانب المكان اهتزت مشاعره معه فاتبعه بضربات اقدام متناغمة من حركات الدبكة الريفية التي تغمر الامكنة كلها بالفرح والانتعاش ، بينما عيناه مشدودتان الى صورة والده ، معلقة على وجه الجدار ، تحكي طيلة اللحظات قصة استشهاده ، توقف بعدها لحظات ، واقترب من زوجته ، امسك القلم من يدها وكتب سريعا « اعدي نفسك للرحيل ، لم يعد مكان لنا غير الاغوار ٠٠ هناك حيث اصوات البنادق » وافلت القلم من يده ، وعاد يتابع حركات دبكته الريفية ، اخذت تزداد تناغما وقوة مع تلك الابتسامة العريضة التي غمرت وجه زوجته ٠

ح٠ ب٠

حول نارى يتجمع اطفال صفد

شعر : محيي الدين خريف

(تونس)

صامتات نساء الخيام ويغزلن صوف العباءات
يصنعن من زمن الانتظار خيوطا وأعمدة للسقوف
لا ظماء هناك ولا أوجه حفرتها المحاجر
بل عيون كما لمعت فى الظلام الخناجر
عندما يستفيق النهار ، ترى حاملات الهدايا
يوزعنها فرحات على كل طفل بكى أو تضور
يدعو أباه الذى غاب عن قلبه فى المتاهات
منذ تصاعد فى الافق سور الظلام
فلهذا بقايا حطام
ولذاك بارودة أو قذيفة
وعلى كل صدر تعرض للريح ألف وسام
وحين تجمع أطفالها حول نارى
بسطت أمامهم لفلسطين خارطة نقشت فى
الحنايا وفى القلب بالدم والدمع ضيقها واسع
وبعيد مداها قريب وفيها ديارى
هنا قبر جدى تنوح الرياح عليه وتبكى الطيور الغريبة
وأما هناك فمرتع قطعاننا والسهول الخصيبة
يتمنون مثل جميع الصغار طعاما لقبرة
ومساحب خضرة
وطائرة وعصافير تشدو مع كل اشراقة للصباح

وقصة فارس
يهب ليأخذ ثاراته ويضمد كل الجراح
قل لأمى التى تطعم الحزن خبز العشايا
شجريها مناديلنا واطرزيها
بالخيوط التى غزلت من دموع الصبايا
فارس يتخطى الحدود بدون إشاره
وشمسا قديمه
وزيتونة ومناره
خبا بعدها الضوء فى كفر قاسم
وفوق النجيع تمد الولائم
ترابك رغم الاعاصير عطرٌ
وصدرك بحر
وأقمار آفاقك المدلهمة فى القلب جمر
أنا لن أموت وفى داخلى هاجس يترقب
طرق النواقيس • ينتظر الباب حتى يشرع
للنازحات الثكالى اللواتى بكتهم سماء المرافى
وعاشوا سنيى المنافى
بلا وطن والحياة وطن
ونجوى الضمير وطن
فخل الخطى تتأهب ان المسافر عاد ليزرع أشواقه
فى البطاح
وليل العذاب سيطوى
كما قد طوى كاتب سفره واستراح

م. غ.

فلسطين ارض بنى كنعان

بقلم : محمد فنطر

(تونس)

يتحدث بعض المؤرخين عن أرض فلسطين وقد يرون فيها الارض المقدسة التى غادرها اليهود بنو اسرائيل تحت ضغط ظروف تاريخية قاسية مما جعلهم يتشتتون فى مختلف أصقاع المعمورة . يتحدث هؤلاء المؤرخون عن فلسطين وعن اليهود الذين غادروها دون ما إشارة الى بنى كنعان أهل البلاد وأصحاب هذه الارض ومن بين هؤلاء المؤرخين من قد لا يعى خطر نظرية أساسها الجور وقوامها العدوان .

تذكر بعض القصص التى أوردتها الكتب المقدسة أن ابراهيم الخليل خرج وأباه من مدينة أور السومارية الكائنة جنوب وادى الرافدين ترويها مياه الفرات واستقر بحران وفيها نزل الوحى على ابراهيم الذى اصطفاه الاله ليكون أبا لاحسن أمة أخرجت للناس . ثم نزح ابراهيم وذووه الى ارض كنعان لكنه غادرها تحت وطأة المجاعة وانطلق الى مصر الفراعنة تلك التى كانت اذذاك تنعم بالسعة . قضى ابراهيم فى مصر زمنا ثم عاد الى أرض بنى كنعان وفيها ترعرع ابنه اسحاق واتخذ له زوجة فانجبت له يعقوب ذلك الذى لقبه الاله باسرائيل ومن ذلك أطلق على ابنائه وأحفاده اسم « بنو اسرائيل » (1) ويوسف من أبناء يعقوب : خرج يوما مع إخوته وشاءت الاحداث أن يسقط بين أيدى سيارة كانت فى طريقها نحو مصر واشتروه « بثمن بخس دراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين » (2) .

وعظم شأن يوسف حتى أصبح وزير فرعون (3) فدعا أباه وذويه أن غادروا أرض بنى كنعان وأقيموا بيننا فى مصر آمنين . وكان ذلك ، لكن

---

(1) التوراة : سفر التكوين ، الاصحاح الرابع والعشرون .
(2) سورة يوسف : الآية 19 .
(3) نفس المصدر : الآية 29 . التوراة : سفر التكوين ، الاصحاح 37 ، الآية 36 . جاء فى هذه الآية أن يوسف بيع الى أحد ضباط فرعون .

أصبح بنو اسرائيل عرضة لتعسف المصريين فكانوا يسلطون عليهم ألوانا من الاضطهاد وسوء المعاملة حتى نشأ موسى وتزعمهم وخرج بهم قاصدا أرض كنعان عبر صحراء سينا وتصف الكتب المقدسة كيف هلك فرعون غرقا وتتحدث عن وفاة موسى أثناء الطريق فخلفه اليسع الذى عبر نهر الاردن بالقرب من يريحة وأقام معسكره بمدينة جلجال ومنها انطلقت وحدات بنى اسرائيل تكتسح البلاد الكنعانية وتستولى على مدنها وانتصر بنو اسرائيل على ملك أورشليم فى واقعة جبعون (4) ٠

تلك هى قصة بنى اسرائيل وتلك هى الظروف التى حفت بانتصابهم فى أرض بنى كنعان فهم عليها دخيلون كما يثبته كتابهم غير أن آيات التوراة تمر صامتة على الكثير من القضايا التى تخص بنى اسرائيل وتاريخهم مما يدعو الى تجاوز النظرية الدينية والنظر من زاوية تاريخية تعتمد الاستقصاء والاستنطاق والاستنتاج دو الاكتفاء بما قد تتضمنه « المقدسات والمعتقدات » ولا يكون هذا العمل مجديا إلا اذا عولجت القضية فى إطارها الشرقى العام ٠

لقد بزغت شمس الحضارة على الشرق القديم منذ الالف الرابعة قبل المسيح فكانت الامبراطورية الفرعونية (5) وكانت الامبراطورية البابلية الأشورية (6) وكانت مدن الشام وكانت المدن الكنعانية الفنيقية (7) ؛ تلك ربوع متحضرة عرفت الرفاهية وتمتعت بسعة العيش وحول هذا الهلال الخصيب صحراء شاسعة قاحلة ترتادها قبائل رحل تنتمى فى غالبها الى الشعوب السامية (8) وهى شعوب تكون وحدة حضارية مع فروق جزئية تتجلى خاصة على الصعيد اللغوى ٠ لكن لم تتوفر ظروف الاستقرار لهذه

---

(4) سفر الينبوع : الاصحاح الاول ، الآية 1 و 2 ٠

(5) C. Alfred, les Egyptiens au temps des Pharaons. Grenoble, Arthaud 1965

(6) بالنسبة لوادى الرافدين انظر :

G. Gossens, l'Asie occidentale ancienne in Histoire universelle t. 1

Encyclopédie la pléiade in Paris, Gallimard 1957

(7) S. Moscati, Il mondo iei Fenici. Milano 1966

(8) Idem, Histoire et Civilisation des peuples sémitiques - Paris Payot 1955

القبائل السامية الصحراوية تلك الظروف التى تيسرت للذين عمروا بابل وأشور ومارى وأوغاريت (9) ٠

نتبين من هذه البيانات السريعة أن فى الشرق القديم شعوبا سامية مستقرة ذات حضارة وجاه كالتى كانت تقطن بوادى الرافدين أو بمدن السواحل السورية اللبنانية والساحل الفلسطينى ٠ ومن بين شعوب الشرق القديم قبائل رحل تجوب الاصقاع سعيا وراء العيش وكانت تشكل خطرا بالنسبة للشعوب المستقرة سامية كانت أو حامية ٠ وكانت تك القبائل عديدة مختلفة لا رابط بينها سوى أنها تعيش حياة هامشية تطاردها الشعوب المستقرة حتى تتقى شرها وتكون فى مأمن من عبثها (10) ذلك أن أهل الوبر كانوا يترقبون الظروف المساعدة ليفتكوا بأهل الحضر ويستبيحوا أموالهم ٠

لقد عرفت مصر الفراعنة شر هذه القبائل منذ أقدم العصور وقد وردت أصداء عن ذلك فى بعض الوثائق البورغليفية أذكر منها مخطوط بيتارسبور " Petersbourg " وفيه يتحدث الكاتب عن الغارات التى كانت مصر عرضة لها حيث تهاجمها القبائل الآسيوية٠ تقول هذه الفقرة من مخطوط بيتارسبور: « انظر الى الآسيوى المسكين! إن الارض التى تأويه قاسية حتى أنه لا يستطيع الاستقرار بمكان ؛ ترى ساقيه فى حركة مستمرة وهو لم ينقطع عن القتال منذ عهد هوروس لكنه لا يغزو شيئا كما ليس فى امكان أحد غزوه ٠٠٠ فالآسيوى طامة كبرى لمصر ومع ذلك فلا خوف عليكم منه لانه قد يتمكن من نهب ضيعة منعزلة لكنه لا يغير أبدا على مدينة آمنة » (11) ٠

---

(9) أوغاريت : انظر جبرائيل سعادة رأس الشمرة « آثار أوغاريت » دمشق 1954 ، دليل وضعه المؤلف للتعريف بآثار أوغاريت ٠

(10) توجد نقائش كشف عنها الغطاء فى خرائب مدنية مارى بالجمهورية السورية على ضفة الفرات تشير الى الاصطدامات التى كانت تشب بين الرحل وبعض المدن الكبيرة بوادى الرافدين ٠ لقد تعرضنا لبعض هذه النقائش ضمن دراسة قدمناها حول الالاه داجون ونشرت بمجلة كلية الآداب بالجامعة التونسية
Cahiers de Tunisie t. XXI / 1972 n° 81 - 82
P. 22 - 23

(11) G. Contenau, la civilisation phénicienne. Paris, Payot 1949, P. 37.
يعود هذا النص الى عهد الاسرة التاسعة أى الى نهاية الالف قبل الميلاد٠

ومن الأسيويين الذين أغاروا على منطقة الدلتا فى بداية الالف الثانية قبل المسيح تجدر الاشارة هنا الى قبائل الهيكسوس ويبدو أن لفظة «الهيكسوس» تعنى « الملوك الرعاة » ويرجح أن هـذه القبائـل انطلقت من حـدود آسيـا الصغرى متجهة نحو شمال سوريا ثم تقدمت فى طريقهـا نحـو أرض بنـى كنعان ، وكلما عبر الزاحفون اقليما انضم اليهم سكان ذلك الاقليم أو قـل المقيمون فيه وقتئذ والنتيجة كانت أن أصبح الزاحفون خليطـا من القبـائل السامية وغير السامية : ولعل قصة ابراهيم وخروجه من أور الى حران فالى أرض كنعان حتى ينتهى الى مصر ثم يخرج منها ويعود ثانية الى كنعان لعـل كل هذه التفاصيل تشير فى الواقع الى تحركات القبائل الآسيوية وزحفها على منطقة الدلتا والتسلط عليها فى الالف الثانية قبل الميلاد حتى أصبحت مصر فى عهد ملوك الهيكسوس مفتوحة فى وجه القبائل الآسيوية السامية ولعـل مغامرة يوسف أيضا تدخل فى هذا النطاق فاذا كان الملك أسويا ساميا فـلا حرج أن يكون وزيره أسويا ساميا .

غير أن ملوك الهيكسوس لم يتسلطوا على كامل القطر المصرى بـل بقـى الصعيد تحت نفوذ اهل البلاد وفى سنة 1580 قبل المسيح حمل ملوك الصعيد على منطقة الدلتا وطهروها من عبث الغاصبين .

من ذلك ترى أن ملحمة الهيكسوس تندرج فى صلب الوضع المتوتر الذى كان يسود الشرق القديم فى الالف الثانية قبل الميلاد وهو وضع ناجـم عن تصادم القبائل الأسوية الـراحلة مـع الاقطـار المتحضـرة التى كانت تأبى التعايش مع قبائل لم تتجاوز مرحلة سد الرمق .

كانت اذا قبائل عديدة مختلفة تعيش حيـاة فاقـة ونصب على هـوامش حضارات تنفرها وتطاردها ولعل تلك الظروف القـاسية هى التى عملت على توعية البعض من تلك القبائل حتى سيطرت على الظروف وكيفتها لصالحهـا فكان لها نصيب فى الحياة القارة بأرض منتجة وكثيرا ما تنشـأ الوحـدة على أسس عاطفية مصيرية سيما اذا تسربت الى مخابر العقل والمنطق واذا تحول الشعور الى فكرة وتحولت الفكرة الى عقيدة ترى العقيدة تتحول الى قانون .

هكذا أتصور شخصيا الظروف التاريخية التى تولدت عنها اليهودية أو قل عقائد اليهود على أنه لا يخفى علينا الضباب الكثيف الـذى يحجب عنـا الحقائق التاريخية فى معناها الزمنى ويحجب عنا الخيوط التى منهـا تكـون نسيج اليهودية .

وبالرغم عن ذلك قد يستشف المؤرخ من خلال ذلك الضبـاب الكثيف أن الوحدة الدينية لبنى اسرائيل وليدة الوضع الذى كان يسود الشرق القديم فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والحضارية ومعلوم أن الوحدانية نظرية انتشرت فى مصر الفراعنة خلال القرن الرابع عشر قبـل المسيـح (12) ، ولعلها نشأت قبيل ذلك القرن أى فى العصر الذى ظهر فيه موسى ودعا الى إله واحد جبار . ففى الايام التى كان فيها موسى يدعو الى وحدانية « يهوه » كان فرعون يدعو الى وحدانية « أتون » المتمثل فى قرص الشمس . فيلـوح للدارس أن الديانة اليهودية نشأت فى ظروف تاريخية قد يقف عليها المؤرخ وقد لا يقف عليها ولو حاولنا الاشارة الى بعضها . ضغطت الظروف فكانت الوحدانية وكانت الوحدة وحيكت أساطير دينية الهدف منها وضع تاريـخ واحد لقبائل مختلفة توحدت وركزت وحدتها لاسباب رأيناها وعلى أسس سبق ذكرها . ونحن لا نتحرج من اعتبار ابراهيم واسحاق ويعقـوب ويـوسف والاسباط أبطالا تبرع عليهم الخيال بحلل الاساطير وقد لا يتنافى ذلك مـع تاريخيتهم ونحن نعلم أنه كلما تغنى الانسان بتاريخه وأحسن الغناء كانت الاسطورة .

ومما تضمنه دين اليهود نظرية خطيرة تقول بتفـوق بنى اسـرائيل على غيرهم من الشعوب وهو مظهر من مركبات الغرور ولكنه قد يساهم مساهمة فعالة فى بناء الشخصية وتعزيزها حتى تكون فى مستوى القيام برسالتها .

ويتضمن دين اليهود نظرية أرض الميعاد ولا شك فى رأيى أنها تولـدت هى الاخرى تحت ضغط الظروف التاريخية ويتجلى ذلك بكل بيان فى اختيار أرض الميعاد نفسها : فلئن وجهت القبائل التى سبق الحديث عنها أنظارهـا نحو السواحل الكائنة جنوب المدن الفنيقية فلم يكن ذلك الا لاسباب تاريخية يمكن التخمين حولها وقد لا يعسر الوقوف عليهـا فليس فى امكـان تلك القبائل أن تعتبر مصر « أرض الميعاد » ولئن فعلت لكان حلمها حلما لا يتحقق ذلك أن مصر تشكل قوة جبارة تتصدى للزاحفين وتمنعهم من الانتصاب بها. وليس فى امكان تلك القبائل أن تضع « أرض الميعاد » فى وادى الـرافدين وما كانت لتجهل ما لبابل وأسور من قوة وسلطان . فما بقى لهـا إذن الا الدويلات الكنعانية العاجزة عن الصمود فى وجه الزاحفين وقد أشارت آيات

---

(12) انظر أحمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ ، بغداد 1972 ، ص 169 وما يتلوها .

التوراة ما مرة الى تلك الدويلات الضعيفة التى حملت عليها القبائل الاسرائيلية واكتسحت أراضيها ويؤسف المؤرخ أن تعوزه الوثائق التاريخية الخاصة بتصادم الدويلات الكنعانية والقبائل الاسرائيلية التى تمكنت من تحويل أساطيرها قوة ضاربة فلقد زحف بنو اسرائيل على أرض كنعان وافتكوا يورشليم وفتكوا بملك يورشليم الكنعانى .

فمدينة يورشليم اذن مدينة كنعانية عريقة فى التاريخ تثبت الوثائق التاريخية وجودها قبل انتصاب قبائل بنى اسرائيل بأرض كنعان فالوثائق الاثرية لا تترك للشك مجالا فى هذه القضية (13) ولنا نصوص قديمة تثبت وجود يورشليم قبل انتصاب اليهود بأرض كنعان منها نص هيروغليفى يعود الى الاسرة الفرعونية الثانية عشرة (14) ومنها رسالة من رسائل تل عمرانة (15) وتعود هذه الرسائل الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد : فالوثائق الأثرية والنصوص الهيروغليفية تثبت أن لا علاقة بين يورشليم واليهود فيحق لبنى كنعان أن يقولوا : « يورشليم لنا والبيت لنا » كانت يورشليم اذذاك عاصمة دويلة كنعانية ويبدو على ضوء رسائل تل عمرانة أن مصر كانت فى ذلك العهد تعيش أزمة دينية وسياسية جعلتها تتخلى عن مراقبة الوضع فى ربوع سوريا وأرض كنعان حيث سادت الفوضى مما يسر عمل بنى اسرائيل ومكنها من الاستيلاء على ربوع تستقر فيها .

أما يورشليم فلم تسقط تحت سلطان بنى اسرائيل الا فى أيام داوود وهو الملك الذى اشتهر بحروبه ضد قبائل أخرى كانت تريد بدورها الاستيلاء على المدن الكنعانية الاسرائيلية بعد ما حاولت عبثا التسرب الى مصر والتسلط عليها بمعية قبائل أخرى عديدة ومختلفة تسميها المصادر الفرعونية « الشعوب

---

(13) يورشليم : Dictionnaire encyclopédique de la Bible, Ed. Brepols Turnhout - Paris 1960 S.V. P. 930 - 941

(14) حكمت الاسرة الثانية عشرة فى بداية الألف الثانية قبل الميلاد أى من سنة 2000 الى سنة 1785 قبل الميلاد تقريبا .

(15) دراسات عديدة نشرت حول رسائل تل العمرانة نذكر منها :
F. Thureau - Dangin, nouvelles lettres d'el-Amarna in Revue d'Assyriologie XIX 1922. G. Contenau, la civilisation phénicienne Paris 1949 P. 47 - 52

البحرية » (16) ، تصدى المصريون الى هذه الشعوب فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد وأبعدوها عن السواحل المصرية فتوجهت نحو الشام والمدن الكنعانية وانقضت عليها نهبا وتحطيما حتى أصبحت المدن أثرا بعد عين ، واحتفظت بعض المدن الكنعانية الفنيقية ضمن خرائبها ببقايا تلك المأساة ، ومن بين الشعوب البحرية كانت القبائل الفلستية وقد انتصبت فى بعض المدن والارياف الكنعانية وغدا بنوكنعان اذذاك يشتكون تصادم بنى اسرائيل بالقبائل الفلستية عن أرضهم وفى مدنهم وأريافهم فهى المأساة الكبرى حيث كانت الحروب وقد ذكرتها آيات التوراة (17) على أن الاسرائيليين لم يفلحوا فى طرد الفلستيين وأطلق على أرض كنعانية انتصب فيها الفلستيون اسم « فلستيا » ومنها اشتق اسم فلسطين والمرجع أن القبائل الفلستية انصهرت فى صفوف بنى كنعان وسرعان ما تكنعنوا دينيا ولغويا وبالتالى اصبحت الحضارة الكنعانية حضارة لهم ·

تلك هى قصة فلسطين من أقدم العصور الى حلول الفلستيين بأرض كنعان وتلك هى الظروف التى صاغت بنى اسرائيل فهم شعب حاكته الظروف التاريخية بل نسيج خيوطه قبائل أسوية سامية عديدة مختلفة فلا ابراهيم لهم سوى تلك الظروف التاريخية التى حاولنا القاء بعض الاضواء عليها فالتاريخ يفرض علينا أن نفهم من عبارة « بنى اسرائيل » لا قبائل تنحدر كلها من ابراهيم ويعقوب بل قبائل عديدة مختلفة وحدتها الظروف التاريخية فى اطار دينى مذهبى فمكنتها من ايجاد اطار جغرافى يوفر لها وسائل العيش ·

تسلط إذن بنو اسرائيل على بعض المدن والارياف الكنعانية وجدوا فيها الحضارة وسعة العيش · لقد كانوا رحلا لا حضارة لهم فاستوعبوا الحضارة الكنعانية وتشهد آيات التوراة بتأثير الحضارة الكنعانية عليهم ونددت باقبالهم على هذه الحضارة حيث كان البعض من زعمائهم يخافون شر ذوبان بنى اسرائيل فى صفوف بنى كنعان وتشكو آيات كتابهم من ابتعادهم عن أصالة مذهبهم حتى أنهم ابتعدوا عن إلههم واقتربوا من مذابح آلهة كنعان ·

---

(16) الشعوب البحرية : L. A. Stella, Che furono I popoli del mare ? Rivista di Antropologia, 39 (1951 - 1952) P. 3 - 17

(17) الفلستيون فى التوراة : انظر سفر سموئيل ، الاصحاح 17 ·

كان داوود من أعظم ملوك اسرائيل عاش فى القرن العاشر قبل الميلاد وكانت له علاقات حسنة مع بعض المدن الفنيقية وملوكها وأشهرهم الملك حيرم الذى كان على عرش مدينة صور وتدعمت تلك العلاقات الطيبة فى سلطان الملك سليمان وهو الذى كان يتعاون مع الملك حيرم وقد طلب منه أن يساعده على بناء المعبد الذى كان تعهد بتشييده أبوه داوود فى مدينة يورشليم وبعد بناء الهيكل أصبحت مدينة يورشليم تحمل اسم بيت المقدس والمقدس هو المعبد فى لغة بنى كنعان ·

فالمقدس عمل أنجزه فنيون كنعانيون ولقد شهدت آيات التوراة بذلك ونوهت ببراعة الفنيين الكنعانيين فى مختلف ميادين الصناعة ·

يبدو على ضوء الكتابات العبرية أن مملكة بنى اسرائيل بلغت أوجها فى أيام سليمان ثم أخذت تنحدر حتى كانت قسمين : قسم شمالى وعاصمته سامر ومملكة جنوبية وعاصمتها يورشليم ثم كانت ظروف عاشها الهلال الخصيب جعلت من المملكتين الاسرائيليتين لقمة التهمها الاشوريون ثم حل البابليون محل الاشوريين وأتوا على المقدس وأبعدوا نخبة بنى اسرائيل الى بابل ·

ولما أفل نجم بابل وتألق فى السماء نجم الاخمينيين عاد بنو اسرائيل الى يورشليم وأعادوا بناء المقدس ثم تسلطت على المنطقة كتائب اسكندر المقدونى وفى سنة 64 قبل الميلاد أصبحت ــ يهودا ــ ولاية رومانية يسوسها الملك هيرود الاكبر الذى حاول مساعدة اليهود ومكنهم من اعادة بناء المقدس ثالثة وكان قد حطمه أحد خلفاء اسكندر المقدونى (18) ·

وفى سنة 70 بعد الميلاد حطم المقدس مرة ثالثة بأمر من تيتوس الرومانى وكانت الهجرة اليهودية وانتشر بنو اسرائيل فى أصقاع العالم المعروف اذذاك · فمنهم من رحل الى اقطار أوروبا ومنهم من حل بالديار الافريقية وقد تمكن اليهود فى ديار الغربة من القيام بدعوة دينية واسعة علها بلغت أوجها فى القرن الثانى بعد الميلاد (19) وأقبل بعض الناس فى افريقية وأوروبا عليها واعتنقوها كديانة شرقية أسمى من المعتقدات الوثنية من ذلك أن قبيلة

---

(18) بالنسبة لتاريخ اليهود انظر : Adolphe Lods
Israël, des origines au milieu du VIIIe siècle avant **notre** ére
Albin Michel Paris 1969

(19) قام اليهود بحركة تبشيرية كما بينه الكثيرون من المختصين أذكر منهم مرسال سيمون (Marcel Simon)

بربرية اعتنقت اليهودية كما يذكره ابن خلدون (20) وكان من عرب الجزيرة من اعتنق اليهودية ومن الصقالبة من اعتنق اليهودية • فليس من التاريخ اذن أن يقال ان اليهود المنتشرين فى كل أصقاع المعمورة هم أبناء الذين تركوا بلادهم تحت سيطرة الرومان وان لم تكن بلادهم فى الاصل كما سبق تبيانه ثم إن اليهود الذين رحلوا من فلسطين كانوا أقلية بالنسبة للذين فضلوا البقاء على حطام المقدس •

وتدهورت شؤون الامبراطورية الرومانية حتى اصبحت فلسطين ولاية بزنطية تأوى من احتفظوا بديانتهم اليهودية وتأوى من اعتنق من اليهود الديانة المسيحية ولم يكن عددهم ضئيلا وفى القرن السابع أشرق نور الاسلام ودخل فلسطين فاتخذه الكثيرون من سكانها دينا وسيطرت الحضارة العربية الاسلامية •

فيتبين لنا بعد هذا العرض السريع أن فلسطين عربية لا لان العرب غزوها وأطردوا منها سكانها الاصليين كما يدعيه بعض اليهود من الغلاة بل احتفظت فلسطين بأهلها لكنهم انصهروا فى الحضارة العربية واعتنق غالبهم دين محمد عليه السلام فلقد غزتهم الحضارة العربية فهم أهل البلاد الاصليون أولئك العرب الذين سقطوا ضحية مؤامرة حاكها أرباب الصهيونية بمساعدة بعض الدول الغربية ، إن علاقة فلسطين بالعرب الذين أطردوا منها علاقة تاريخية متينة وليس فى مقدرة مؤرخ أن يثبت أن عرب فلسطين دخيلون عليها أقبلوا فى أحضان الكتائب التى رفعت فى فلسطين راية الاسلام •

ولما تبين أن اليهودية انتشرت فى أصقاع المعمورة تحت تأثير الدعوة التى قام بها اليهود المتشردون فلا حق لصقلبى أو بربرى أن يدعى أنه ينحدر من بعض أولئك الذين أطردوا من بلادهم ان فلسطين للعرب ولبعض الذين كانوا بها يدينون باليهودية وهم من سكانها كانوا بها قبل أن يتسلط عليها دعاة الصهيونية باعانة دول أوروبية تستخدم الصهاينة لصيانة مصالحها فى الشرق الاوسط •

م• ف•

---

(20) فيما يتعلق بالبربر اليهود انظر ابن خلدون « كتاب العبر » الجزء الاول من ترجمة دى سلان ، ص 208 •

قصيدتان لفلسطين

شعر : رياض المرزوقي

نــــــداء

شربت العطر حتى دوختني   سحابات العطور أمام أنفي
وطوقت الحصور فأوجعتني   مشدات الحصور وكل كفي
وداعبت النهود ، فما لقلبي   توارى خلف نهديها وخلفي ؟
اذا ما عانقتني أحرقتني   وان سطرت حرفا ضل حرفي
بعينيها ضباب مستكين   وأوطان تهاوت تحت خسف
وفوق الخد مكتوب مصيري   ينبيني بأن الزحف زحفي

* * *

اذا ما لامست شفتاى فاها   أذوق دماء شعبي في لساني
وان داعبت شقراء الاماني   تهاوت مهجتي ، وذوى كياني
حرام مضجعي جنب العذارى   وقومي ضجع تحت السنان
واقدام اليهود تدوس (قدسي)   وأحلام اليهود تمس شاني
وأختي في (العريش) على لحاف   يدنس تحت أقدام الجبان

* * *

تنادي : يا لقومي كيف ناموا ؟   تنآسوا انني رمز (القضيه) ؟
أواري سوأتي تحت التراب   كأني لم أشاهد « قادسيه »
وأبنائي أذلوني وذلوا   وهل أبقى أمام الذل حيه ؟ ؟

* * *

أنا وحدي ، فمن يأتي الى   ويؤنس وحشتي تحت السماء
أنا وحدي ، ووحدي بح صوتي   وسكين اللصوص على دمائي

* * *

أفيقوا فالعدا يقتات مني   وشعبي نائم تحت الخيام
وهل (للشرق) غير الازدراء ؟   وهل (للغرب) غير الابتسام ؟

* * *

كـلامـى لا يسـاوى فـى قتـال لسـان النـار أو نطـق الحسـام
ولكـن ليس لى فى الكـون شـأن ولا حـول سـوى زيـف الكـلام

2 ـ رسالـة اعتـذار الى وطنـي

« ارفض أن أستخدم القضايا
اذا امتطى الانسان مشكل (فيتنام)
وحالة الاخوان ..
فى شرقنا ،
وجوعنا وفقرنا
أنا لا أنكر القضايا ،
لكننى أحترم الانسان !.. »

د. م.

① ـ معذرة يا وطنى لا يمكن الكلام
والشمس قد يحجبها بعض من الغمام .

* * *

أخجل عندما أقول
برغم كل ما يقال من خطب
برغم كل ما سئمناه من الكذب
لم نتحرك خطوة الى الامام ،
يا وطنى ،
فى أرضنا يصمنى قرع الطبول
وكثرة الكلام .

* * *

يا وطنى ،
ألمتنى يا جثة تنهشها الغربان
يا لعبة حطمها الصبيان
فيك برغم العصر والحضاره
يباع كل يوم ويشترى الانسان !٠

* * *

يا واطنى ، يا وطن الغضاره
مر عليك الانبياء
ونشروا على ارجائك الخضراء
تحية السلام
وقبلوا جبينك الأغر قبلة الوفاء
واليوم غمسوك فى حمام
من الدماء والأشلاء !

* * *

يا وطنى ،
جميعهم فى شغل
فبعضهم على سرير فسق ينفق الملايين الغزيره
يلبس أقدام البغايا
أحذية من الذهب
مصنوعة من عرق الجماهير الكثيرة
من البقايا ٠٠
والتعب ٠٠
وبعضهم يبنى صروحه الشخصيه
بدعوة السلام ،
وبعضهم يخنق فى صدور شعبه
أغنية الحريه ٠

* * *

هل يمكن الكلام
إن كانت المقصلة السوداء
تعمل دونما هواده ؟
إن كانت الاشخاص والاشياء

ترف فى شفاهها ابتسامة السعاده
وقد طوقها الشقاء ؟
إن كانت الشعوب كالقطعان
تباع بالدولار
تساق فى ممر حكمة التعقل
لخنجر الجزار

* * *

يا وطنى ،
لما أردت أن أعبر فوق حزنى
حرمت من جواز للسفر
حملت أشواقى قطيرات المطر
وطرت نحو الارض فوق ظنى ٠

② ـ لما رأيت كلام الشعراء
زخرف ألفاظ جوفاء ،
لما رأيت المداحين
باعوا جلال الفن بحفنة تبر
لما رأيت الديماغوجيه
يرفع رايتها المأجورون
لما رأيت الشعر ويا حزن الشعر !
يتجر بالحريه
أثبت هواك أيا وطنى بين الأضلاع
وكتمت الأوجاع
وكتبت عن العين النجلاء
وعن باطية الخمر

د٠ م٠

أوت / سبتمبر 1975

يمنع البكاء .. في الساحات العامة

قصة ، بقلم : مازن حجازى

« فاطمة » فتاة صغيرة التقيت بها فى احدى مدن المغرب العربى ·· كنت قادما من المشرق أحمل احزانا اثقلت قلبى ، وتركت توقيعها على وجهى ،·· تمنيت ان التقى بالفرحة فى المغرب ، فانا فى اجازة من العمل وددت لو اقترنت باجازة من الاحزان ·

لكن « فاطمة » بكت فى أول لقاء !!
ما الذى يبكيك يا فاطمة ؟! ما الذى يعكر صفو الفتنة المنبعثة من حولك والشباب الغض ؟!

قصة طويلة ·· مجملها اننى ذكرتها بطفولتها ·· كان لها أخ يكبرها ويشبهنى كما قالت ·· تذكر أنها كانت تلعب معه فى فناء المنزل طول النهار ·· تتخيل ملامحه وهو يستسلم لعبثها وقسوتها احيانا رغم صغر سنهما ·· مات فجأة وهو فى السابعة وهى فى الخامسة ·· ظلت تجلس فى فناء المنزل بلا أخ ··

وكانت فاطمة الى جانبى تبكى ·· وانا ماذا افعل ؟!

من قال أن بكاء الرجال عيب ؟!
أليست دمعة الرجل القوى أمام مآسى الناس جوهرة ثمينة ؟! ثم كيف أمنع نفسى من البكاء ·· وكل مأساة تذكرنى بمأساتى ؟!

أنسى احيانا ·· أصفق وأرقص فى الحفلات والملاهى ·· وفجأة أتوقف عن التصفيق والرقص ·· واشعر بموجة الحزن والخجل ·· كيف أرقص فى الحفلات··وابناء وطنى يرقصون من الجوع ؟! كيف أصفق واعلامى منكسة·· كيف أقبل على الدنيا ورفاقى يتسابقون الى الموت والشهادة ؟!

بلاد المغرب العربى جميلة ٠٠ والجمال يبعث الخدر فى النفوس والراحة فى القلوب ٠٠ لكنه أيقظ فى نفسى احزانا لا تنتهى ؟!

كل غصن أخضر فى تونس ٠٠ ذكرنى بالاغصان الخضراء فى القدس والخليل ٠٠

وكل شاطىء فتان فى تونس ذكرنى بشواطىء فلسطين من حيفا الى عسقلان ٠٠

أنا الذى ولدت فحجبت طلقات المدافع صوت بكائى ٠٠ ومشيت العمر من بيت الى بيت ٠٠ ومن مدينة الى مدينة ٠٠ حتى قطعت المسافة بين البحر والصحراء مشيا على الاقدام ٠٠ أنا الغريب الذى تتقاذفه العواصم من الشرق الى الغرب ٠٠ ماذا أفعل ؟!

أخرجت منديلى ومسحت دمعة فاطمة ٠٠ وأنا أحسد هذه الفتاة على البكاء ٠٠ أنا الرجل الذى لا يحق لى البكاء فى الاماكن العامة ٠٠ الفلسطينى الذى مل الناس سماع شريط احزانه ومآسيه ٠٠ فاطمة تبكى اخاها ٠٠ تعرف لم تبكى ! أما أنا فماذا أبكى ؟ اخوتى الذين قتلوا وأنا أتفرج عليهم ؟ أم أهلى الذين يسكنون الخيام ؟ أم رفاقى الذين يتساقطون يوميا على حدود فلسطين كما تتساقط الفراشات حول الشموع المضيئة ؟!

لماذا فتحت حقائبى المملوءة حزنا يا فاطمة ؟!

تصورى يا فاطمة قوة النهر فى اندفاعه الى البحر ٠٠ انه يجرى من اعلى القمم عابثا لاهيا عنيفا ٠٠ فيجرف الرمل والحصى والناس ايضا ٠٠ لكنه لا يستطيع رغم جبروته ــ اخراج الاسماك النهرية من مساكنها وابعادها عن وطنها !!

تصورى قسوة الطبيعة كم هى ضئيلة أمام قسوة الانسان !!

الطيور التى تهاجر كل عام من شمال الارض الى جنوبها ٠٠ تعود ٠ والشمس التى تتراخى كل مساء على حدود الغروب ٠٠ تعود لتشرق من جديد ٠٠ والقمر والنجوم والبلابل و ٠٠٠ وأنا أدور حول اسوار وطنى أتوسل وأصرخ وأقاتل ٠٠ واصحو قليلا فاذا بى ما زلت خارج الاسوار ٠

صلبونى فى أشهر الساحات ٠٠ منعونى من التحديق فى المارة ٠٠ أنا شاهد الاتهام المتنقل بين المدن الكثيرة الغافية من الخليج الى المحيط ٠٠

لماذا لا تتوقفين يا فاطمة عن البكاء ٠٠ لقد سمعت قصة أخيك فاسمعى قصة أخوتى ٠٠ أعرف أن والدك حارب فى فلسطين عام 1948 وأن لك اقرباء لم يعودوا ٠٠ أعرف وأقدر حبك وعواطفك ٠٠ لكننى لا زلت يا فاطمة خلف الاسوار ٠٠ ورأسى تحول الى غرفة عمليات يديرها جيش من المخبرين ورجال الشرطة ٠

سأجمع لك يا فاطمة كل المناديل المعطرة لامسح بها احزانك ٠٠ أما أنا فقد جربت المنديل والصراخ والبندقية وما زلت خارج اسوار وطنى ٠٠ تسمرت النجوم فى اماكنها يا فاطمة وطال انتظارى لطلوع الفجر ٠٠ الليل الثقيل رابض بكل ظلماته ، ويبدو أن على الدوران حول الكرة الارضية واستعادة الشمس من مخبئها ٠٠ لتشرق من جديد على أرض المشرق العربى٠

الدوحة ــ قطر

م٠ ح٠

الجرح العائد

شعر : مصطفى الحبيب بحرى
(تونس)

إذا ما عضنى الكابوس واستيقظت من ألمى
على طاحونة العدم
وتاهت نظرتى حولى فلم أبصر سيول دمى
نزعت إليك يا قلمى
وعدت إليك يا حرف
على قلبى على رأسى على عينى عدت إليك يا حرف
فلا تعتب ولا تلم
وعذر الجرح يا قلمى
فسيف الفارس الغلاب قد ينبو به كف

* * *

يمر العام بعد العام والاقلام يا أيار تنتظر
لعل الجرح يلتئم
لعل النبع ينفجر
لعل المارد المأسور يرمى قيده للبحر ، يطوى رحلة العوده
لعل السندباد يعود رغم الموج والاعصار
ورغم شراهة التيار
.... يعود يا أيار
وفى عينيه فى كفيه ينبوع من الأسرار
لعل ... وتلهث الاقلام
وتخنق أنة الحلاج فى زنزانة الايام

ويمضى العام بعد العام

* * *

أنا إنسان هذا العصر قد فتشت عن ذاتى
أنا إنسان هذا العصر لم أجمع سوى أشواك خيباتى
وغير جراح مأساتى
أنا إنسان هذا العصر ، فى مستنقع الخيمة
سمعت الموت من حولى
يفجر طاقة الكلمه
يفيض الحقد من قلبى ..
فيا ويلى
أنا الانسان ، كيف استيقظت فى قلبى الأحقاد ؟
أنا ما عدت إنسانا
أنا حقد ، أنا موت ، أنا (سبتمبر الاسود)
أنا أيلول يا أيار فلتشهد

م. ح. ب.

قراءات في دفتر الحقيقة والحلم

شعر : احمد المصلح

ـ الاردن ـ

، افترقنا حولا فلما التقينا
كان تسليمه على وداعا ،
تضيعين بين الحقيقة والحلم ،
ترتحلين ...
بعيدا بعيدا
تصيرين بعد اشتعال الفواصل ،
لغزا جديدا
أناديك من شرفة الموت ،
لا تسمعين ...
ألوذ بسرى ،
أهمهم ،
ألعن ،
أسقط فى حفرة اليأس والانتظار
أفتش فى دفتر النفى ،
أقرأ فصل التحول فى زمن النار ،
والذكريات مرايا من الوهم ،
هذا الدوار
يعز على الفهم ،
كيف تضيعين ...
لا أذكر الآن ،
كانت زحوف الجليد ،
تداهم عرى الحضارة ،
خلف البحار
تبوأت عرشك ،
طوقت كل المدائن ،
كنت النشيد المسافر ،
عبر صهيل البيارق
فوق الجراح
تغنيت باسمك ،
كل الدموع استحالت ورودا ،
على صدر عيبال (1) ،
حين استعادت رمال الصحارى ،
صباها المباح
عبرت مدارك ،
يعصرنى الوجد والآه ،
زادى ـ عزائى ،

(1) عيبال : جبل فى فلسطين تربض على سفحه مدينة نابلس .

الدماء النواهل من جسد الثأر ،
فوق الربوع
كروما من العشق ،
تثمر فى الساحل البكر
سفر الرجوع
مشاعل فى عتمة الصبح ،
تنفث فى ضفة الجرح ،
نسغ التحدى ،
انتفضت ،
مشيت اليك ،
أنادى
ولكن
تضيعين بين الحقيقة والحلم ،
ترتحلين ...
ألوذ بسرى ،
أفتش فى دفتر النفى ،
أقرأ :
الأرض عطشى ،
وهذى الغيوم جبال من الملح ،
والقوم صرعى ،
كأعجاز نخل خوت فى اليباب ،
يمزقها الرفض ،
والأمنيات مواسم خصب ،
تغطى وجوه المسافات ،
قبل الرحيل ،
وبعد الرحيل

أ. م.
استاذ الفلسفة فى ثانوية عبد المؤمن
عضو البعثة الاردنية
وجده ـ المغرب

دراسة هيكلية لقصص فلسطيني

يقوم حاليا أحد الطلبة من قسم العربية بكلية الآداب بتونس باعداد بحث لنيل شهادة الكفاءة للبحث موضوعه : « دراسة هيكلية واجتماعية لقصة غسان كنفاني (رجال تحت الشمس) » وهى أول دراسة من نوعها للادب الفلسطيني تقدم بتونس .

قضية فلسطين في انتاج بعض الادباء التونسيين (1967 - 1973) ★

محمد مواعدة
(تونس)

تمر القضية الفلسطينية فى هذه الفترة الزمنية بمرحلة دقيقة جدا سواء فى الميدان العربى او فى الميدان الدولى ، خاصة بعد الفشل الذى منيت بـه محاولات التشتيت للجبهة العربية التى ارادت بلوغها بعض القوى العالمية ٠ وهذا يفرض على كل المثقفين والادباء العرب متابعة الاهتمام بالقضية بطريقة واعية ، والمساهمة فى إنارة السبيل وفضح ما يجب فضحه وكشف ما ينبغى كشفه ٠

ولا شك ان دور الاديب العربى ، وهو صاحب الفكرة والكلمة ، دور فعال اذا احسن تحديد الفكرة ، واصاب فى توجيهها بالكلمة النافذة اى الكلمة ـ الرصاصة التى تقتل كل ما هو زائف منبت ، وتحيى كل ما هو اصيل لـه جذور تمتد امتداد الانسان والزمان ٠

وقد سعى الاديب العربى فى المشرق وفى المغرب الى متابعة قضية فلسطين عبر مراحلها المختلفة والتفاعل معها والتعبير عن كل ما يتعلق بها من القضايا والنظريات !

والاديب التونسى لم يشذ عن هذه القاعدة وهو ما سنبينه بايجاز فى هذه المحاولة ؛ وصيغة الموضوع المطروح للبحث والتحليل تقتضى الاجابة عن السؤال التالى :

(*) هذه الدراسة قدمها الاستاذ محمد مواعدة فى المؤتمر العاشر للادباء العرب الذى انعقد بمدينة الجزائر من 25 الى 27 أفريل 1975 ٠

ما هو مدى اهتمام الاديب التونسي بالقضية الفلسطينية وكيف عالجها في انتاجه ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال لا بد من التنبيه الى نقطتين اساسيتين تتعلقان باطار البحث ومنهجه وهما :

1) لقد مرت القضية الفلسطينية بمنعرجات عديدة حاسمة منذ العقد الثاني من هذا القرن الى اليوم • وقد عبر الاديب التونسي عن ذلك خلال مختلف المراحل بدرجات متفاوتة سواء من حيث الكم او من حيث نوع الانتاج الادبي • الا ان دراسة كل ذلك بصورة شاملة متقصية عميقة لا يمكن ان تكون في مثل هذه اللقاءات الادبية ولذلك سأكتفي ببحث القضية الفلسطينية في الادب التونسي خلال مراحلها الاولى بحثا اجماليا عاما **وسأركز على الفترة ما بين سنتي 1967 ـ 1973** وهي في نظري من اخصب الفترات ان لم نقل اخصبها واهمها في حياة القضية العربية سواء بما حدث في جوان سنة 1967 او في اكتوبر سنة 1973 (ونوفمبر سنة 1974) (*) أو بما مر به العالم العربي وما عاناه الانسان فيما بين هاتين السنتين الحاسمتين • ومما **يؤكد حرصي على** الاهتمام بهذه الفترة بالذات هو ما جد فيها من احداث اثرت في القضية تأثيرا جوهريا وادخلتها في منعرجات معقدة علينا ان نكون يقظين لها حتى لا نكتفي بتسجيل الماضي ، بل نتجاوز ذلك الى تحديد اطار عام واضح للمستقبل • نعم يجب ان نوجه بحوثنا اكثر فاكثر نحو المستقبل خاصة ان النضال العربي في فلسطين هو نضال ذو ابعاد مستقبلية •

2) عالج الاديب التونسي القضية الفلسطينية في انماط ادبية مختلفة سواء في المقالة او في الخلق الادبي من شعر وقصة ومسرحية ، ونظرا الى غزارة المادة المكتوبة فانني **سأقتصر على دراسة الخلق الادبي** فقط على ان اعود الى أدب المقالة في مناسبة أخرى عند الامكان • ومن الملاحظ ان جل الشعراء والكتاب قد عالجوا القضية في انتاجهم فنجدهم يشيرون احيانا الى نفس المعاني ويعبرون عن نفس المشاعر بوسائل عديدة وذلك حسب تكوين الاديب ونظرته الى الكون والحياة ، وخاصة حسب درجة وعيه بالقضية ومدى انغراسها في قلبه وعقله وتأصلها القومي في شخصيته • لكل ذلك فانني لن أذكر كل الشعراء والكتاب الذين تناولوا القضية وانما **سأقتصر على طائفة منهم باعتبارهم** نماذج سأعتمد عليها في الدراسة والتحليل ، اما اختياري لهذه

(*) إشارة إلى الخطاب الذي القاه السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة •

النماذج فسيكون حسب نوع الموضوع المتناول أو حسب أسلوب التناول من حيث طرافته ومدى انسجامه مع روح القضية الفلسطينية ٠

لماذا هذا الاهتمام بالقضية ؟

اهتم الادباء التونسيون بالقضية الفلسطينية منذ مراحلها الاولى كما سنبين ذلك خلال هذا البحث ٠ وتجدر الاشارة الى ان ذلك يعود الى مجموعة من الاسباب اهمها انهم كانوا صدى لاهتمام الشعب التونسي بهذه القضية فى مختلف المناسبات سواء فى المستوى السياسى او فى المستوى القومى العام ٠ وقد تجلى هذا الاهتمام خاصة منذ سنة 1948 عند حدوث النكبة يوم احتشدت جموع المواطنين متجهة الى ارض فلسطين للدفاع عن الحق المغتصب والوطن السليب ٠ ولا يمكن لهذا الجيل ان ينسى ما قام به الوطنيون من جمع التبرعات لتجهيز المقاتلين واعانة المنكوبين ٠٠ ويتجلى الحماس من اجل القضية كلما جد حدث يتعلق بها سواء فى الميدان العسكري او فى الميدان السياسى ويكفى ان نشير الى حدث سنة 1974 فى الميدان الدولى المتمثل فى خطاب المناضل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الذى القاه على منبر الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فى جلسة من جلساتها التاريخية ٠

ومن المعلوم ان الدافع الاساسى لذلك يعود الى مجموع الصلات التى تربط بين تونس وفلسطين خاصة منها :

1) العروبة والاسلام

2) الوقوع تحت النفوذ الاستعمارى

فقد كان الشعب التونسى مستهدفا الى مسخ شخصيته العربية الاسلامية . والشعب العربى فى فلسطين كان ايضا ولا يزال مهددا بابشع حركة استعمارية عرفها التاريخ البشرى ، تهدف الى اغتصاب الارض واخراج اصحابها والاحلال محلهم دولة مزعومة تقوم على العنصرية الدينية والعصبية العرقية ٠ وبالاضافة الى الاسباب التى ذكرتها وخاصة منها السبب القومى فقد عالج بعض الادباء التونسيين القضية الفلسطينية فى اطار انسانى ضمن الدفاع عن المظلوم والمضطهد ، وهل هناك ظلم واضطهاد اعنف من اغتصاب الارض وترك اهلها ينهكهم التشرد والخصاصة ٠٠٠ وألم الانتظار ٠ وقد اشرت الى الاسباب التى دفعت بالادباء التونسيين الى الاهتمام بالقضية

العربية الاساسية لا لاؤكد عروبة الشعب التونسي وتمسكه باصالته القومية فهذا لا يحتاج الى تذكير ، فما بذله الانسان فى تونس من جهود للقضاء على كل انواع المسخ قديما وحديثا شاهد على ذلك ، ولكننى أشرت الى هذا للتذكير بالارضية الشعبية التى انطلق منها اهتمام ادبائنا باعتبارهم يمثلون احسن صدى للشعب واصدق معبر عن مشاعره وكوامن روحه اذ هو عضو من الجسم العربى يشعر بالتصدع والالم اذا شكا احد الاعضاء ٠٠ ولا يكتفى بالتالم بل يساهم قدر الامكان فى مقاومة سبب الالم وازالته ٠

مورينو ـ و ـ بلفور :

اجتازت الحركة الصهيونية كما هو معلوم مراحل مختلفة فى الميدان النظرى ثم فى الميدان السياسى العملى ، وقد كان مؤتمر ـ بال ـ بسويسرا المنعقد سنة 1897 اهم عمل لبلورة هذه الحركة من الناحية الفكرية مما جعل تيودور هيرتزل احد فلاسفة الصهيونية يقول فى مذكراته : « فى ـ بال ـ أسست الدولة اليهودية » ٠ ويعتبر الوعد الذى أعطاه الى اليهود وزير خارجية بريطانيا بلفور يوم 2 نوفمبر سنة 1917 فى رسالة وجهها الى اللورد روتشليد اهم تصريح سياسى مكن من تركيز « هذه الدولة » بصورة فعلية وذلك بالسعى الى « اقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى » (كما جاء فى رسالة بلفور) ٠

بهذا القرار الذى أعطى به صاحبه أرضا لا يملكها الى اناس لا يستحقونها ، ندد الشعراء العرب فى المشرق والمغرب فنظم الشاعر التونسى محمد الشاذلى خزندار (المتوفى سنة 1954) قصيدة بعنوان « مورينو وبلفور » (1) يقول فى مطلعها :

نادتك يا اختها الخضراء فلسطين صنوان فى الرأى بلفور ومورينو

فبلفور هو صاحب الوعد المشؤوم ومورينو هو احد النواب الفرنسيين وصاحب مشروع سياسى ظهر سنة 1923 كان يهدف الى تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية والقضاء على الشخصية العربية الاسلامية فى هذه البلاد ٠

ان المقارنة البسيطة بين صدر البيت وبين العجز تبرز لنا نظرة الشاعر

---

(1) « ديوان خزندار » ج 2 ـ ص 26

الى القضية • فتونس وفلسطين اختان فى الجنس وكذلك فى نظر الحركة الاستعمارية اليهما •

وموريتو وبلفور اخوان فى النظرة الى العالم العربى من حيث العمل على طمس شخصيته والقضاء على خصائصه ومقوماته الاساسية ولذلك يقول الشاعر :

هذا المجند صهيونية ملئت حمقا وذلك بالتجنيس مفتون •

كما يوضح خلال القصيدة ما بذله كل من الرجلين من جهد لقلب الحقائق والسعى الى بلوغ ما يريد على حساب الشعب العربى سواء فى تونس أو فلسطين•ولم يكتف الشاعر محمد الشاذلى خزندار بفضح الحقيقة الاستعمارية وموقف اوروبا المستغلة من العالم العربى ، وانما يندد بذلك ويؤكد ان هذا الامل لن يتحقق فلن يبلغ موريتو وبلفور المراد اذ وان « ارخصتنا الليالى ، الآن (اى فى الثلث الاول من القرن العشرين) فالمستقبل سيظهر عكس ما ينتظران ويرجع الامور الى نصابها والحق الى ذويه :

قل : قولنا الفصل للمستقبل انتظروا ما بيننا يومها تقفى الموازين

واذا اشرنا الى ان هذه القصيدة قيلت خلال سنة 1923 تبينا مدى تمثل الشاعر لروح الامة العربية ومدى تمثيله لمشاعرها كما تبينا ايضا رؤياه المستقبلية لما ستكون عليه هذه الامة الابية بعد عشرات من السنين •

النكبة الاولى :

حاول الصهاينة منذ العقدين الثانى والثالث من هذا القرن السيطرة على الارض الفلسطينية بصورة تدريجية ، لكن المقاومة الشعبية العربية من ابناء فلسطين تصدت لذلك فى مناسبات عديدة لايقاف هذا الزحف الاستعمارى ، الا ان العوامل الدولية من ناحية والاوضاع الداخلية العربية من ناحية ثانية تضافرت كلها لحصول نكبة 1948 التى انتهت بقيام دولة اسرائيل المزعومة وانهزام الجيوش العربية ، وهجرة الفلسطينيين من ديارهم ومزارعهم واملاكهم، والاقامة فى الخيام ينتظرون إعانة منظمة « غوث اللاجئين » وينتظرون «العودة» الى ارضهم المغتصبة • نعم ! فقد بقى الشعب الفلسطينى منذ ذلك التاريخ يعانى آلام التشرد والغربة المادية والمعنوية والحرمان بجميع اصنافه•وقد هزت هذه النكبة الشعور العربى الصميم خاصة ان العرب لهم ضلع فى الوصول الى

هذه النتيجة القاسية ، وعبر الشعراء عن ذلك بحسرة وحزن كبيرين صبغا جل القصائد التى قيلت فى تلك الفترة بالذات ·

فالشاعر التونسى مصطفى خريف (المتوفى سنة 1967) ــ شعورا منه بثقل الكارثة ــ يخبر قومه بانه لـن يهتم بالادب بعـد تلـك النكبـة ولـن يتحدث عن « الحاظ المها » والنهود واللمى لان الظرف الجديد لم يبق ملائما لذلك وانما هو ملائم خاصة للحرب وحمل السلاح فيقول :

لا تلمنـى ان نـبـذت الادبـا وتقلــدت حسامـا اشطبـا (2)

ويقـــــول :

ما الهوى ؟ تبـا لاصحاب الهوى مذهب الحمقى اعتزلـت المذهبـا

أما سبب هذا التغير فهو :

حـل وغد واغـل فـى حـرمى ورعـى حـول الحمـى واستلبـا
شـاد فى قومى وحش جـائـع وسطـا فى ارض جـدى الغـربا

الا ان مصطفى خريف ، مثل غيره من الشعراء العديديـن الذيـن تناولـوا النكبة واثارها فى قصائدهم ، لم يكتف بالتعبير عن شعوره بالالم والحسـرة بل ذكرنا بامجاد العرب الاجداد وما كانوا يتحلون به من شجاعـة وصمـود ولذلك فالانسان العربى اليوم لا يمكن ان يقبل الضيم :

انـا لا اجـزع مـن باطلـهم ولـو الدنيـا استحـالت نوبـا
انـا لونازعنـى شهـب السمـا فـى بـلادى لاحتللت الشهبـا

ويؤكد الشاعر فى نفس القصيدة التى القاها بمناسبة « عيد العروبة » ، على ضرورة وحدة العرب وتضامنهم حتى يتمكنوا من التخلص من العدو ·

وقد عبر عن هذه المعانى ايضا الشاعر الطاهر القصار فى قصيدة له بعنوان « ليست الحرب لليهود ولكن » (3) قالها يوم 16 ماى 1948 بمناسبة حـدوث النكبة بالذات وابرز فيها قضية فلسطين فى اطار عربى اسلامى مستحثا الهمم لرد اليهود على اعقابهم وعدم الرضى بالهوان :

---

(2) ديوان ــ شوق وذوق ــ ص : 68 ·
(3) ديوان القصار ــ ج 1 ــ ص 86·

ومن العار ان نموت على الضيـ ـم وفى العرب ان يفوا محياها
ان يصلوا يد اليهودية الحمـ ـقا عن القدس ان يردوا اذاها
٠٠٠ان يبيدوا ارجاس صهيون من ار ض فلسطين ان يريقوا دماها

وقد تناول الطاهر القصار القضية فى قصائد اخرى عديدة منها قصيدة « وعد بلفور » التى نظمها فى غرة جوان سنة 1948 اثر المعركة التى نشبت بين العرب واليهود بفلسطين وانتصر فيها العرب باخراج اليهود من القدس يوم 28 ماى يقول فى مطلعها :

صهيون حم القضاقم ناد بلفورا وقل وعدت فكان الوعد مخفورا (4)

ويذكر بمساوى اليهود وفساد اخلاقهم وسلوكهم :

هـم اليهود فحدث عن مفاسدهم
وقل بما شئت تنكيلا وتشهيرا

ثم يبرز مفاخر العرب وبطولاتهم عبر التاريخ مؤكدا على انهم سوف يعيدون مجدهم وهذا انتصارهم فى القدس شاهد على ذلك :

يا مستخفا بشان العرب سوف ترى
لـواءهـم فـوق قرن الشمس منشورا
انظر فهاهم لمنع القدس قد نهضوا
تبصر سياجا من الفولاذ مصهورا

ومما قاله الشاعران مصطفى خريف والطاهر القصار ومما قاله غيرهما من الشعراء ، نستنتج ان شعور الاديب التونسى بان القضية العربية هى قضيته الشخصية هو الذى جعل عواطفه تتأجج ، واحاسيسه تشتعل ونخوته العربية الاصيلة تثور ، وقد كان ذلك سواء عند حدوث النكبة مباشرة او عند وقوع حادثة لها صلة بالقضية ، ولا شك ان التواريخ التى قيلت فيها القصائد التى استشهدنا بنصوص منها تؤكد ماذهبنا اليه بوضوح ٠

فقد كان الاديب التونسى ـ والشاعر بالخصوص ـ حاضرا حضورا واعيا قوميا لا فرق فى ذلك بينه وبين سميه فى المشرق والمغرب العربيين ٠ ومن الملاحظ انه لم يكتف بتسجيل حزنه وألمه بل زمجر وزار مذكرا بامجاد العرب

(4) المصدر السابق ـ ص 88

الاجداد ومناديا الاحفاد بان يكونوا على نفس النسق حتى يكونوا اهلا للانتساب للعروبة ٠

واهتمام الشاعر التونسي بالقضية الفلسطينية جعله لا يتناولها فى قصائده عند المناسبات البارزة فقط بل انه يتحسس كل تحولاتها واوضاعها ولذلك فهو لا يركن الى الصمت عندما يلاحظ انشغال الساسة العرب بغيرها وانصرافهم عنها ٠ وهو ما نجده عند مصطفى خريف فى قصيدته « رثاء فلسطين » (5) التى سجل فيها شعوره بالسأم والضيق لان انتظار « العودة » قد طال :

بنات الدياجي افصحي واجيبينا
فقد طال للصبح المنير ترجينا

وقد اكثر من استعمال كلمات دالة على التبرم والضجر والثورة النفسية لما لاحظه من سلبية وخنوع تجاه القضية مثل قوله :

وغام الفضا واربد واسود غيهب
غليظ الحواشى بات بالثكل مشحونا

كما ابرز فى القسم الاخير من القصيدة قعود العرب وعدم سعيهم الجاد الى استرجاع الارض التى « امست مكبلة تشكو الهوان وتدعونا » :

ونحن قعود تزدهينا سفاسف
وتفضحكنا دنيا الغرور وتلهينا

ولذلك فهو يدعوهم الى الاقدام والابتعاد عن الخوف ويقول فى ختام القصيدة:

سلام على من كان مستمعا الندا
بارض الندى وليحى فينا الملبونا

وهذا الشعور بالحزن والضيق لما كان عليه العرب او بالاحرى الساسة العرب من ركون واكتفاء بالكلام والوعود الزائفة قد عبر عنه جل الشعراء الذين تناولوا القضية فى بعض المناسبات العديدة ، فهذا الشاعر على عارف فى قصيدته « الجرح المتجدد » (6) التى قالها سنة 1964 بمناسبة انعقاد مؤتمر

---

(5) ديوان ــ شوق وذوق ــ ص 96
(6) ديوان ــ ابعاد ــ ص 121

القمة العربى الاول يشير الى هذه المعاني . فقد ضمنها فى حوار دار بينه وبين طالبة يهودية التقى بها فى مخبر الفيزياء عندما كان يدرس بجامعة باريس وقد عرفته بنفسها قائلة :

« **من تل أبيب انا . واعرف كم تعادون اليهود نحن اليهود** »

فهاجت عواطفه وتذكر معارك العرب واليهود التى سبقت النكبة ، وكان وقتئذ طفلا يصنع المدافع من الرمال فى قريته بالجنوب التونسى ليساهم فى الاخذ بالثأر وكان كثيرا ما :

سمع الكبار يحدثون الاهل
عمن شرقوا للحرب فى فجر سعيد
والناس فى قلق بقريته القصية
يسالون مضاضة هل من جديد ؟

ويذكر الشاعر هذه التى تدعى انها اصيلة « تل ابيب » بانها لا تعرف فلسطين قبل النكبة وانما جاءتها صحبة اهلها « حثالات الشعوب » للاستيلاء والاستيطان .

وقد حاول الشاعر التخلص من عبء النكبة وذلك بتهديد اليهودية واهلها وبعث الذعر فى نفوسهم :

يا يوم ينقض الطريد على
فريسته الشهية ناشرا أبهى البنود
فترين حينئذ هزيمتنا القديمة
تستحيل الى مطاردة الوغود

لكن سخرية اليهودية من العرب :

« **فى غابر الازمان كنتم ـ لا امانع ـ كالاسود** »

اثارت فى نفسه الشعور بالمرارة لركون العرب وذلهم وعدم السعى بالفعل لاسترداد الحق المغصوب :

ياوصمة الدهر الغريب العرب
تخضع للعدو ويستمر بها القعود ؟

ويطالب الساسة العرب بالكف عن هذر القول ، والاهتمام بالقضية بصورة فعلية وذلك بحمل السلاح لتجديد مجد العرب وحتى لا يحتقرهم ويرميهم بالخزى الابناء والاحفاد والتاريخ :

ماذا يقول صغاركم بعد الفناء ؟
جدودنا ماتوا وعاشوا كالعبيد

ويبدو ان الشاعر يعلم عجز هؤلاء الساسة عن ان يغيروا ما بحالهم اما لجهل او لمصلحة شخصية فيعبر عن خجله وهو الاديب الذى لا يملك الا الكلمة فيختم قصيدته بقوله :

انى لا خجل يا فلسطين الحبيبة
ليس لى الاكلام لا يفيد
انى لا خجل يا فلسطين الحبيبة
ليس لى الا التستر بالقصيد

ولم يكتف الشعراء التونسيون عامة بتسجيل اثر النكبة بل اشاروا الى اسبابها الاصلية منبهين الى الامراض التى يعانيها العالم العربى وهى متمثلة خاصة فى تشتت القوى العربية وعدم الايمان بقوة الفعل والاقتصار على ترديد القول . فالعرب هم الذين اضاعوا فلسطين وهم يتحملون مسؤولية ذلك لان عدم وعيهم ــ او تجاهلهم ــ بأمراضهم ونقائصهم هو الذى مكن العدو من غرس هذا الخنجر فى جسم الامة العربية ، وفى قلب الانسان العربى وهو ما عبر عنه الشاعر احمد اللغمانى :

فلسطين يا خنجرا فى الصميم
يفتت قلبى بافظع طعن (7)

ويقول :

فلسطين ضيعتها بفيناعى
فهل يرجع الرشد ما ضاع منى ؟

اما الشاعر نور الدين صمود فقد أكد على وحدة الصف العربى فى قصيدته التى القاها فى مهرجان الشعر المنتظم بمدينة الكوفة فى شهر فيفرى سنة 1965 :

---

(7) ديوان ــ قلب على شفة ــ ص 186

ونـادى بـوحـدة العـرب لـكـن
بعـدمـا نمـلاء الـدروب اتزانـا (8)
ان اردنـا للعـرب وحـدة صـف
فلنـوقـد قلـوبنـا وهـوانـا

كما دعا العرب الى ترك الشعر والاعتماد على السلاح فهو الذى يرجع الارض المغصوبة ويرد الوطن السليب :

مـا ترانـا نقـول شعـرا بديعـا
وفلسطيـن تطلـب النيرانـا
.. ولنسـر للجهـاد صفاعتيـدا
فكفـانـا مـن الكـلام كفـانـا

نتبين مما ذكرناه سابقا ان قضية فلسطين كانت حاضرة فى ذهن الاديب التونسى ـ والشاعر بالخصوص ـ ، حضورا واعيا فى مختلف المراحل التى مرت بها منذ وعد « بلفور » . وفى جل القصائد التى قيلت فى تلك الفترة ـ سواء التى اشرنا اليها واستشهدنا ببعض من ابياتها او التى لم نذكرها لضيق المجال ـ نلاحظ ان الشاعر التونسى ، وخاصة خلال سنوات 1964 ـ 1965 ـ 1966 كان كثير التأكيد على ضرورة وعى العرب بحالتهم وما تعانيه من علل ، والسعى الى اصلاح ذلك حتى لا تزداد ظروف القضية الفلسطينية تعقيدا ونبتعد اكثر فاكثر عن النصر . وكان هذا التنبيه الذى نستشفه من الانتاج الادبى العربى سواء فى المشرق او فى المغرب تحذيرا من حدوث نكبة ثانية اقسى واقوى مفعولا .

نكسة جوان 1967 :

اننى لن اعود الى الحديث عن هزيمة جوان (حزيران) سنة 1967 فقد كتب فى شانها الكثير ، ولاشك ان ما سيكتب بعد معرفة معطيات تبدو الان مجهولة سيكون أكثر وأوفر والمهم فى الامر ان نشير الى ان تلك النكبة الثانية كانت أشد قساوة من الاولى ، واكثر عنفا ولذلك كان لها التأثير الفعال لا فى المجتمع العربى بصورة عامة فقط بل كان اكثر واعمق فى عقل الانسان العربى وفى شعوره ، كان لها تأثير فى ذاته من الناحية الوجودية (بالمعنى الفلسفى للكلمة) وبهذا الاعتبار تكون القضية الفلسطينية قد اخذت ابعادا اوسع

(8) ديوان ـ رحلة فى العبير ـ ص 16

واعمق لان هزيمة جوان كانت مناسبة لتعرية الواقع العربى تعرية كاملة واوضحت حقيقة الحيرة والغموض فى نظرتنا الى الاشياء والى الكون ، والى الحياة بمعناها الشامل ، كما اوضحت الزيف الذى كنا نعانيه دون وعى بحقيقته سواء فى الميدان السياسى او الاخلاقى (بما لهذه الكلمة من اسمى المعانى) او الفكرى •

وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، فقد كان لهذه النكسة وجهها الايجابى وان كان مرا ، وهز بعنف مشاعر الادباء العرب وغير نظرتهم الى دور الكلمة وكيف ينبغى لها ان تكون • واذا لاحظنا ان الشعر فى تونس كان الاكثر اهتماما بقضية فلسطين من القصة والمسرحية قبل نكسة 1967 فان الكتاب فى هذين النوعين من الخلق الادبى لم يتوانوا عن القيام بدورهم بعد النكسة واعنى خاصة الكتاب الذين لهم وعى عميق بقضية الانسان العربى وما يجب عليه ان يقوم به من دور حضارى فى العصر الحديث سواء فى المستوى القومى او فى المستوى الانسانى •

وبالاضافة الى الانتاج الادبى الغزير فلم يبق الشاعر او الكاتب التونسى فى المستوى العام عند معالجة القضية الفلسطينية بل تجاوز ذلك الى بحث وتحليل قضايا محددة تتفرع عن القضية الاصلية • ومن المعلوم ان هذا الاسلوب من التناول يدل على فهم اعمق للموضوع والمام أوفر بعناصره ووجوهه ، ولكل ذلك فاننا سنحلل فى هذا القسم من البحث القضية الفلسطينية وما يتعلق بها من الاغراض فى :

1) الشعر
2) المسرحية
3) القصة

اما القضايا التى تناولها الشعراء والكتاب فى انتاجهم الادبى فيمكن ضبطها فى المحاور الرئيسية التالية :

1) الواقع العربى وضرورة اصلاحه
2) مسؤولية الاديب فى المعركة
3) مفهوم الثورة
4) العمل الفدائى وتأثيره

وتجدر الاشارة الى وجود اغراض اخرى عالجها الادباء بدرجات مختلفة مثل احداث سبتمبر 1970 او حريق المسجد الاقصى بالقدس وغير ذلك مما سنذكره فى ابانه خلال الفقرات الموالية من هذا البحث ٠

1) ـ فلسطيـن فى الشعـر

افرزت نكسة جوان انتاجا شعريا فى العالم العربى سيطرت عليه الكآبة ، والحزن والشعور بالخذلان ادى الى اليأس عند بعضهم والى الشعور بمركب النقص والضعف عند البعض الآخر ٠ ولذلك كثر « شعر البكاء والعويل » وعم جل الصحف والمجلات بالمشرق والمغرب العربيين وهو ما اطلق عليه « بالادب الحزيرانى » ٠

وقد كانت هذه الظاهرة فى نظرى ظاهرة مرضية (تستحق العلاج) لانها بينت موقف بعض الشعراء السطحى من القضية ونظرتهم اليها نظرة زمنية لا تتجاوز المظهر الخارجي الآنى ، وقد وجد هذا النـوع من الشعـر عنـد بعض الشعراء التونسيين الا انهم قلة واما البقية الواعية فلم تتوان فى الاعلان عن رفض البكاء واعلانها ثورة عارمة لا هوادة فيها ٠

فهذا الشاعر الميدانى بن صالح يخاطب « اجيل النكبة » (9) فـى قصيـدة قالها يوم 16 جوان 1967 اى بعض ايام فقط بعد الهزيمة :

اجيل النكبة الحائر
وآمال الملايين وبحة شعبنا الثائر
قيودك ثر ، ومزقها
صكوك الذل احرقها
وشمس العرب اشرقها
لهيبا من لظى النار ٠

ويعلن ثورته على البكاء والعويل فى نفس القصيدة :

اجيل الثار ٠٠ يكفينا
بكاء فى ليالينا

---

(9) ديوان ـ الليل والطريق ـ ص 51

لقد جفت مآقينا
فثر فى وجه غازينا
وحطم لصنا الغادر

ويتصاعد هذا الاصرار عند الشاعر يوما بعد يوم فتزداد ثورته عنفا وموقفه حدة وهو موقف الضمير العربى العنود الذى لا يهدأ ولا يتراجع ولا يعرف على مدى المد التاريخى استسلاما ولا خنوعا ، وهذا ما يؤكده الاستاذ الميدانى بن صالح نفسه فى قصيدة ثانية بعنوان « نواقيس الخطر » (10) التى قالها يوم 23 جوان 1967 اى بعد اسبوعين من الهزيمة ويحلل فيها ما عاناه الجيل العربى المعاصر من نكبات ثم يقول مخاطبا « موشى ديان »

ايه يا « ديان » مهلا ...
نحن شعب ما خلقنا للسجود ....
نحن لن نقبل « يا سفاح » ذلا وقيود
فسل التاريخ عنا ....
منذ ان كان زمان ومكان ووجود ...
ارضنا والنار والذرة لا بد تعود ..
ونعود ...

وقد اشار الى بعض هذه المعانى عدد من الشعراء الاخرين مثل جعفر ماجد ومحى الدين خريف ومنور صمادح والطاهر الهمامى واحمد القديدى والطيب الرياحى وغيرهم كثير . وقد تناول الشعراء التونسيون فى قصائدهم المختلفة وبدرجات متفاوتة الاغراض التى اشرنا إليها سابقا وهى :

أ ــ الواقع العربى :

لقد طرق الشعراء فى قصائدهم هذا الموضوع بشىء من السطحية قبل نكسة جوان 67 وذلك عند الاشارة الى اسباب نكبة 1948 وما أدت اليه من تشريد للشعب الفلسطينى . وبما أن هذا الواقع بجوانبه المختلفة وخاصة الفكرية والسياسية هو الذى حتم الوصول الى ما وصلنا اليه فقد اشار اليه

(10) المصدر السابق ــ ص 59

الشعراء بتفصيل بعد النكسة خاصة انها ـ كما بينا سابقا ـ قد عرته وكشفت عما فيه من زيف وتخلف وانحطاط ٠

ومن بين الشعراء الذين عالجوا بعضا من جوانب الواقع العربي الشاعر جعفر ماجد في قصيدة « الاصنام » (II) والتي القاها بمناسبة مهرجان الشعر العاشر المنتظم بالقيروان في مارس I973 ، فقد حلل سلوك بعض الساسة العرب ومالهم من زيف ومغالطة وتهويم وخيانات لشعوبهم وللقضية العربية ويقول :

حزني على وطني لاشيء يعدله
الا جناية هاتيك الحكومات

وهو يعني بذلك امة العرب عامة ثم يذكر بعض الامراض :

لم يبق في الافق نجم نستضيء به
غير الخطابة في سوق المزادات
اذا عزمنا على تحقيق معجزة
لاشيء يجمعنا غير الشعارات
قلوبنا في مهب الريح سائمة
والشعب نطعمه حبر البلاغات

ولا يكتفي بالاشارة الى ذلك في قصيدة او قصيدتين من قصائده بل يؤكده في جل القصائد التي قالها في فترة ما بين سنتي I967 و I974 ومن اشهرها ، « صوت الاندلس » (I2) التي ذكر فيها باسباب سقوط الاندلس وافتكاكها من يد العرب بعد ما بلغوه من اوج ورقي في جميع ميادين الحضارة ٠٠ واذا هذه العوامل هي التي ستؤدي الآن ـ اذا استمرت الحال على ما هي عليه ـ الى نفس المآل بالنسبة الى فلسطين ويقول :

واليوم انتم مثلما كانوا هنا
قوم عبيد اسرة وكراسي

---

(11) ديوان ـ غدا تطلع الشمس ـ ص 5

(I2) المصدر السابق ـ ص 75

فى كل قصر عندكم ولادة
ويقال للص الكبير : سياسى
واذا حميت الشعب من سراقه
ماذا سيحميه من الحراس ؟

ويختم القصيدة بقوله :

ورأيت ان الجسم ليس بهالك
لكنما اوجاعنا بالراس

هل كل سببه تشاؤم الشاعر فقط ؟ لا أظن ذلك لاننا نجد هذه المعانى عند الشاعر الميدانى بن صالح (I3) واحمد القديدى (I4) وعبد العزيز قاسم (I5) بأساليب مختلفة وبصور متغايرة ٠

ونستنتج مما ذكرنا شجاعة الشاعر التونسى الواعى فى معالجة الواقع العربى والتعمق فى وصف أمراضه مهما كان العضو الذى توجد فيه ٠ ومن الملاحظ ان هؤلاء الشعراء لم يكتفوا بكشف الواقع بل قدموا حلولا تدل على رؤية واضحة وهى تتمثل فى ضرورة تحمل الشعب مسؤوليته فى هذه القضية :

ويصفى الشعب اعداءه
انه الناهى هنا الآمر (16)

كما أشاروا الى دور المثقف العربى وما ينبغى ان يقوم به من عمل للمساهمة فى اصلاح مجتمعه ٠ ولكى يتمكن من ذلك عليه هو اولا ان يغير نظرته الى مهمة الفكر والكلمة لانهما ايضا فى حالة مرضية شاذة ٠

ب) مسؤولية المثقف العربى :

دور المثقف العربى فى معركة المصير ،ومسؤولية الكلمة فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها الامة العربية من القضايا التى تناولها بالتحليل والشرح

---

(13) ــ قصيدة اعتذار ــ الفكر عدد 8 ــ ماى 1973 ــ ص 23 ٠
(I4) ــ نفس المصدر ــ ص 38
(I5) ــ نفس المصدر ــ ص II
(I6) ــ ديوان « غدا تطلع الشمس » ص 66

جل الادباء العرب شعراء كانوا او كتابا فى مناسبات مختلفة· ويكفى ان نذكر بأنها كانت شعار مؤتمرنا الثامن الذى انتظم بدمشق فى شهر ديسمبر سنة 1971·ولا غرابة ان تحتل هذه المنزلة من الاهتمام فالمثقف العربى مرآة لضمير الشعب وصورة لروحه ، والمعبر عن مكامن نفسه ، وطريقة تفكيره ، ولاشك ان الاديب الذى يكون على هذه الصورة هو الاديب الذى يكون حاضر الوعى ، نافذ النظر ، واضح الرؤيا لقضايا شعبه المصيرية ولا يتوانى فى الكشف عن الحقائق وانارة البصائر عندما تغشاها غاشية ولا يتردد فى مقاومة الزيف والتنبيه الى علاماته ما خفى منها وما ظهر · اما الاديب الذى يفقد وعيه عند الحاجة ولا يعود اليه الا بعد فوات الاوان فلا أظن أنه يمثل قلب شعبه النابض وعلامة الحياة عنده ·

وقد عالج الشعراء العرب هذا الموضوع وما كان عليه الفكر وما كانت عليه الكلمة سواء من حيث المضمون او من حيث الاستعمال قبل نكسة جوان 1967·ولا يمكن ان ننكر البتة ان بعضا من الذين ينتسبون الى الادب بالمشرق او بالمغرب ساهموا فى حدوث النكسة ووقوع الهزيمة · ولذلك ثار الشاعر الميدانى بن صالح فى قصيدة « اعتذار » (17) على اللقاءات الادبية والفكرية التى كانت تنظم دون ان تفيد الانسان العربى فى تغيير واقعه وازالة مابه من شوائب الزيف والسخف ، وهو يدعو الى ان لا يتم اللقاء الا :

عندما لا تصبح الاقلام يا اخوة·· مشلولة فى ايد جبانه
ترهب المخبر والقواد ·· والسمسار ترضى بالمهانه
وترى فى الصبر عن جلادها الغاشم عقلا ···
واتزانا ورصانه ·
وله تهدى صنوف القول تمجيدا ، وتقديسا
وتستجدى حنانه
كعبيد الارض فى عهد الفنانه
نلتقى ·· لو تصبح الاقلام مسؤولة لا ترضى المهانه
ورجال الفكر للشعب يؤدون الامانه (18)

---

(17) ـ قصيدة القاها فى مهرجان الشعر العاشر المنتظم بتونس ـ مارس 73 ـ

(18) ـ الفكر ـ ماى 73 ـ ص 27

ولا شك ان ما مر بالعالم العربى من احداث أثر تأثيرا عنيفا فى قلب وعقل الكاتب والشاعر العربيين ولذلك نلاحظ ظهور تيار من الصمود يبلغ احيانا حد العنف للتأكيد على ان دور الكلمة قد تغير فحملت عبء القيام برسالة جديدة واصبحت ذات شحنة متفجرة لها مفعول الرصاصة • ولاشك ان تصاعد العمل الفدائى الفلسطينى كان له اقوى الاثر كما ان انتصار العرب فى حرب اكتوبر 73 دعم ذلك ، وهذا الدور الجديد للكلمة الشعرية مادمنا نتحدث عن الشعر ـ قد حدده جل الشعراء ، وتناولوه فى قصائد عديدة لانه يتعلق برسالتهم بالذات باعتبارهم اداة من ادوات بث الوعى فى الشعب واستنهاض همته وتغذية طموحه•فهذا الشاعر جعفر ماجد يبرز مفعول القافية الشعرية المتفجرة التى تعالج قضايا الانسان العربى معالجة جذرية :

ذل المديح وذلت كل قافية
لم تنفجر مثل الغام العصابات
رصاصة الحرف ان سددت طلقتها
تطوى العصور وتجتاز المسافات (19)

ولم يتأخر الشعراء الشبان عن تناول هذه القضية الخطيرة فى اشعارهم وكأنهم بذلك يحددون مذهبهم فى الادب وينبهون الى انهم لن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من السلف او البعض منه بجعل الكلمة موجهة الى قضايا لا تتعلق بالشعب وضررها اكثر من نفعها بالنسبة اليه • وفى هذا المضمار يقول الشاعر الهادى عبد الملك :

حرفى انا •••
ان لم يكن كعنق الزرافة
ان لم يكن طائرة
تهزأ بالبعد وبالمسافة

واذا لم يكن هذا الحرف « كولد الخرافة » الذى يكبر بسرعة :

يضرب بالسيف ، يوزع الرعب
على مراكز الخلافة
اعدمه •••

---

(19) ـ ديوان ـ غدا تطلع الشمس ـ ص 7

احـرقــه
ألقيه فى البحر بلا لفافه (20)

ومن الملاحظ ان هذا الوعى الحاد برسالة الحرف جعل عـددا من الشعـراء الذين كانوا قبل نكسة 1967 لا يهتمون بالقضية العربية الانادرا ولا يهتمون بقضايا الانسان الا قليلا وانما هم منشغلون بالذات وما يحيط بها من هوامش، جعلهم يقلعون عن مذهبهم الشعرى الاول ، ولو بتدرج ، ويعالجون قضـايـا العصر وان بدرجات متفاوتة من حيث الاحساس بعمق بجوهرها٠ولا شك ان هذا التحول قد حدث بالمشرق والمغرب العربيين وشمل شعراء منهم من يتمتع بشهرة تجاوزت الاطار العربى كنزار قبانى ٠ ولا شك ان النشاط الفدائى الفلسطينى كان له الدور الفعال فى احداث هذا التحول والانقلاب ٠

ـ النشاط الفدائى :

فى غرة جانفى من سنة 1965 ، انطلقت الرصاصة الاولى من بندقية فدائى من منظمة « فتح » الفلسطينية ٠

وكان لهذه الرصاصة الصدى البعيد فتجاوز الاطار المكانى الذى أطلقت فيه الى أبعاد أفسح وأرحب اذ كانت ايذانا بعهد جديد دخلته القضية العربية بعد أن ترددت فى متاهات يغمرها الكلام ويسيطر عليها الغموض فى الهدف وفى الرؤيا ٠

فقد كانت هذه العملية الفدائية الاولى علامة على ان الانسـان العـربى فى فلسطين تحمل مسؤولية تحرير الارض واسترجاع الوطن السليب ، وتجاوز فى ذلك مرحلة القول ، وخاصة القول المخدر ، الى مرحلة الفعل بالمعنى الفلسفى للكلمة ، وهل هناك ما هو أوضح من الفعل فى ابراز وتثبيت انسانية الانسان الحق خاصة اذا كان مصحوبا بالسعى الى مجابهة الموت من اجل تثبيت الحياة والمحافظة عليها ؟٠ وقد كان ولا يزال للنشـاط الفـدائى الفلسطينى الاثـر الفعال فى :

1 ــ تعميق وعى الانسان العربى

---

(20) ــ ديوان ــ الناى والنار ــ ص 18

2 ـ تحرير المجتمع العربى من الداخل حتى يستطيع القيام بالتحرير من الخارج

3 ـ اعطاء القضية ابعادا أوسع فى الميدانين العربى والعالمى ·

ومما زاد فى تأكيد قيمة هذه الطريقة التحريرية هو انها أتبعت المنطق الذى تفهمه السياسة الاسرائيلية· فزعماء صهيون اعتمدوا على فرق «الهاغانا» لدفع العرب الى الهجرة من ارضهم ووطنهم ·· اذن فيجب على « فتح » أن تقوم بالعمل المضاد وبنفس المنطق حتى يعود الحق الى نصابه · ان ما اخذ بالسلاح لا يرد الا بالسلاح · يقول الشاعر منور صمادح فى هذا المعنى فى قصيدته « نداء القدس » (21) التى أكد فيها على وحدة العرب وتضامنهم :

فـى ارض حيفـا والخليـل مـروءة
هـدرت ولمـا يدرك العـرب الصبـاح
ان كـان حـي عـلى الفـلاح شعارنـا
فالقـدس نـادانـا : فحـي على السـلاح

وقد تناول جل الشعراء التونسيين ـ خاصة خلال السنوات الاخيرة ـ النشاط الفدائى الفلسطينى فهذا الشاعر الطاهر الهمامي يستبشر بمنظمة « فتح » التى سجلت فى حركة الزمن سواء من حيث السرعة أو من حيث النوع فيقول فى قصيدته :

« رسالة محبة الى فتح » (22) :
هب العاصف
وتحرر الزمن الواقف يا فتح
علمينا كيف يكون الكلام
وكيف يفجر الشعراء من كلماتهم
عـلى خـط النـار الغـام
كيف يثور الجرح
وينبت الزهر على انقاض المدح

---

(21) ـ ديوان « نسر ونصر » ص 30
(22) ـ ديوان « الحصار » ـ ص 17

علمينـــا
ان نمســـــك رمــــح

اما الشاعر الشاب الهادى عبد الملك فقد أطلق على اول مجموعة شعرية له عنوان « العطر والرصاص » (23) واهداها الى الفدائيين الاربعة الذين اعدموا وصفى التل ، كما خصص عدة قصائد من باكورة اعماله لهذا الموضوع. يقول فى قصيده « ممنوع الانتحار » التى يخاطب فيها الاسرائيليين واصفا نشاط الحركة الفدائية داخل الارض المحتلة ، وما يبذله الابطال العرب من تضحيات حتى يجعلوا العدو « لا يعرف الهدوء بعد اليوم » :

لا تقرأوا جرائد الصباح والمساء
فخلف كل حرف ، كل كلمة فدائى
وكل نقطة تضم خنجرا
وكل مطة تضم خنجرا
وكل فاصل يضم خنجرا يريد
أن يقتص يا اعدائى ... (24)

ويخصص قصيدة لفتح يحمل عنوانها اسم المنظمة نفسه اشار فيها الى ما يعانيه الثوار من تعذيب لكن ذلك لا يقضى على الثورة «لانها انطلقت وستبقى» وهى التى ستهدم كل الحدود والفواصل وتزيل القلق الذى يعانيه هذا الجيل العربى خاصة بعد النكسة ويختم القصيدة :

فتح يا اكبر معجزة
يا فجرا فينا قد لاحا
نعطيك العمر لتعطينا
أمــلا جبــارا وســلاحــا
فالثأر الاكبر يدعونا
لنضمد فى القلب جراحا (25)

---

(23) ـ العطر والرصاص ـ تونس 1972
(24) ـ المصدر السابق ـ ص 14
(25) ـ نفس المصدر ـ ص 49

وفى سنة 1973 اصدر هذا الشاعر الشاب مجموعة شعرية ثانية بعنوان « الناى والنار » تحمل الصفحة الاولى من الغلاف صورة للبطل الفلسطينى « أبو أياد » وبها عدة قصائد تعالج موضوع المقاومة وتأثير النشاط الفدائى فى تحويل مجرى القضية ·

ومن اهم القصائد برقية الى « ابى على اياد » شهيد الثورة وضحية الخيانات العربية فى قصيدة يبدو فيها حرص الشاعر على سلامة الثورة من الغــدر وضرورة الحفاظ عليها مهما كان الثمن فبعد أن يقدم « تحية الثـورة والابـاء والعناد » الى أبى اياد يقول :

نرجوك يا أبا على اياد
ان تطلق الاشارة الاولى لنا ··
لنطلق الرصاص
أمامنا لم يبق غير الحرب والقصاص ···

وموضوع « سلامة الثورة » وحفظها من كل ضرر خاصة اذا سلط عليها من داخل العالم العربى ، موضوع قد انشغل به جل الشعراء وبرز ذلك خاصة اثناء اصطدامات سبتمبر 1970 الدامية التى حدثت بالاردن والتى كانت تهدف الى تصفية المقاومة والقضاء على اهم عناصرها القيادية وأبرز مواقعها الثورية الموجودة فى بعض المناطق على الجبهة · فقد شعر كل واع عربى فى تلك الفترة المظلمة بطعنة عنيفة لان ما عومل به الفدائيون من «اخوانهم» العرب كان أقسى مما عاملهم به العدو الاسرائيلى مما جعل بعضهم وقتئذ يفر الى اسرائيل خوفا وهلعا من الاردن ·

وقد نظم الشاعر الشاب خالد التومى قصيدة بعنوان « آخر عربة فى قطار عمان » يقول فى مطلعها مخاطبا العرب :

ما رأيكم ··· يموت فى بلادنا الفداء
تحمله جنازة رمزية
على حصان الوقع ··· بالاقدام والترديد
أما يصير مهرجاننا الجنائزى
بالفعل ··· مرسوما لدفع الرجل الجديد (26)

---

(26) ـ الملحق الثقافى ـ بجريدة «العمل» ـ 16 اكتوبر 1970

نعم ان الفدائى الفلسطينى يمثل الرجل العربى الجديد الذى يختلف روحا وجوهرا عن سابقه الذى تلطخ بالخذلان والعار وتعود الاستكانة والانتظار ٠

ويحلل الشاعر بمرارة واقع العالم العربى فى تلك الفترة ، فترة اللاحرب واللاسلم المشوبة بالقلق والحيرة والغموض مما جعل الامل ينحصر فى النشاط الفدائى ٠ ولكن بعض الساسة لا يفيدهم تصاعد هذا النشاط لانه يهدد كيانهم المبنى على الزيف والمغالطة والغدر ولهذا يتساءل الشاعر بأسلوب انكارى :

مادام فأسنا بلا حفار

مادام كلسنا بلا احجار

مادام ريشنا بلا اطيار

ماذا نريد من « ابى عمار » ؟

وهذا التبرم هو الذى ساد الاشعار التى عالجت هذا الموضوع لذلك نجد كلمات مثل: جراح الشوك ــ اللسان المبتور ــ الكف المجدورة ــ كثيرة الاستعمال كما نلاحظ من الناحية الاسلوبية وجود مثل : المشى بذيلها على رؤوسنا الدواب ٠٠ وكل ذلك دليل على حالة الرعب التى كانت تسيطر على قلوب وعقول الجيل العربى الواعى بجوهر القضية واليقظ لمن يتربصون بها الدوائر٠ الا ان هذه الحالة النفسية المعبرة عن حالة واقعية تعيشها الثورة الفلسطينية لم تجعل الشعراء ينغمسون فى التشاؤم والاستسلام بل كثيرا ما نجدهم يدعون الى الرفض والتحدى وعدم الرضى بما هو كائن ، فهذا الشاعر الطيب الرياحى فى قصيدته « نزيف الشمس فى عمان » يشير الى الاخبار المروعة التى ينشرها العرب العملاء ، وبعد أن يدعو « مايير » الى الاطمئنان والنوم وعدم الانزعاج بمتابعة الثوار ومطاردتهم :

ففتحنا فى ظهرها مطعونة

تصارع السكينا (27)

---

(27) ــ الملحق الثقافى بجريدة ــ العمل ــ 19 فيفرى 1971

يحلل واقع العرب بأسلوب مملوء مرارة ويختم القصيدة مشيدا بمنظمة « فتح » قائلا :

يا فتح ... يا فارسنا الوليدا
يا فخرنا ...
يا عمرنا ...
يا غدنا المجيدا
مهما هم تنمروا
باقية يا « فتح » في حروفنا
باقية كالنور في عيوننا
فلتسلمي يا شمسنا ...
يا بعثنا الجديدا ...

ولا شك ان هذا الصمود هو السلوك الشوري الذي يتلاءم والمقاومة الفلسطينية التي غالبت وما زالت تغالب الاحداث حتى النصر . ومن الملاحظ ان الروح الايجابية في الحديث عن المقاومة الفلسطينية كثيرا ما نجدها عند الشعراء التونسيين في مختلف المراحل مهما اشتدت تأزما وحدة لانهم كغيرهم من الشعراء والادباء العرب عامة ـ يعلمون عن وعي بأن قضيتهم هي قضية حق ولذلك فهم يرددون ما قاله الشاعر سويلمي بوجمعة في قصيدته «البعد والضوء والمشانق» (28) التي القاها في الامسية الشعرية التي أقيمت على شرف الفلسطيني « أبي هشام » :

غدا يا قدس نكتب الشعرا ...
ونحيا فرحة كبرى
غدا ناتي مع الاطيار بالانغام والبشرى
الى حيفا الى يافا ويبقى ليلنا ذكرى ...
غدا يا قدس ناتي قبل ان تاتي ...
مع الاضواء نطفىء شمعة الموت ...

---

(28) ـ الملحق الثقافي لجريدة العمل ـ 10 اكتوبر 1969 .

ومن خلال ما بينا بايجاز نستنتج ان الشعراء التونسيين تناولوا القضية الفلسطينية بشمول وعمق فعبروا عن كل المراحل التى مرت بها خلال التحولات المختلفة واشاروا الى جميع الجوانب المتعلقة بها والتى حللت بعضا منها فى هذ البحث ... وساهم فى ذلك اصحاب الشعر العمودى والشعر الحر وأصحاب ما يسمى « بغير العمودى والحر » .

ويجدر بنا أن نؤكد على ان الشعراء لم يكتفوا بمجرد تسجيل الاحداث بل عبروا خلال ذلك عن مشاعرهم القومية فلم يكونوا فى مستوى القضية الفلسطينية من حيث تناول الموضوع فقط بل كانوا فى مستواها من حيث الكيفية التى تناولوا بها الموضوع . ولذلك فان من اهم المواضيع التى تحتاج الى دراسة جادة وهى من مظاهر تأثير القضية العربية فى الادب هو موضوع : الاسلوب فى الشعر العربى بعد تصاعد النشاط الفدائى وبروز المناضل الفلسطينى على المستويين العربى والعالمى . فلا شك ان ما نلاحظه من تجديد فى صياغة الشعر لم يكن خاضعا الى تأثيره بتيارات اجنبية بقدر ما هو خاضع الى تأثر الشاعر العربى بتيارات داخلية فرضتها الظروف الجديدة وتضافرت على توجيهها فى الميدان الاجتماعى والسياسى والفكرى . الا ان الشعر لم ينفرد بمعالجة قضية فلسطين وان كان له فى ذلك النصيب الاوفر فقد تناولها أيضا كتاب المسرحية والقصة .

2) ــ فلسطين فى « المسرحية »

ان عدد المسرحيات التى كتبت لمعالجة القضية الفلسطينية قليل جدا اذا قورن بعدد القصائد الشعرية . الا انها ــ بطبيعة الفن المسرحى ــ أكثر تحليلا وأوفر تنوعا سواء من حيث المواضيع أو من حيث الطريقة . ومن أشهر هذه المسرحيات « زلزال فى تل أبيب » (29) للاستاذ الميدانى بن صالح وقد استشهدنا بعدد من قصائده الشعرية فى القسم السابق من هذا البحث وهو يعتبر من ابرز الادباء التونسيين اهتماما بالقضية العربية وانشغالا بها ووعيا لابعادها القومية والانسانية .

وتتألف هذه المسرحية الشعرية من ثلاثة فصول عالج فيها المؤلف حسب الترتيب : الثورة ــ الوحدة ــ والارض . وهو اذ يستعرض المراحل الاساسية

(29) ــ مسرحية شعرية اصدرتها الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ نوفمبر 1974

التى مرت بها الثورة الفلسطينية يحلل خلال ذلك أهم القضايا سواء منها المتعلقة بفلسطين والثورة بصورة خاصة أو المتعلقة بالعالم العربى عامة ·

ويدور الحوار بين الشخصيات فى مخيم للاجئين وتتدرج المشاهد من مظاهر البؤس والانتظار الى مظاهر النضال الثورى الذى يرفض الانتظار ويفرض الحركية والتغير للتعجيل بالنصر · كما ان شخصيات المسرحية هم أنفسهم يتدرجون ــ أو بعضهم على الاقل ــ من لاجئين يجترون الماضى ويعيدونه فى مجال التذكر الى شبان مناضلين · اما اللاجئون فيمثلهم الشيخ « حرب » الذى عاش نكبة 1948 وبقى يترقب « العودة » وهو يردد دائما :

كنت بالامس على الارض الحبيبة
فى فلسطين الخصيبة
كان لى حقل ودار ···
وشويهات وكلب وحمار
كنت بالامس القريب
أفلح الارض وحقلى طيب الغرس خصيب
وشويهاتى تدر الخير صوفا ولحوما وحليب
وشجيراتى حبالى بعناقيد الثمار
تزرع النور بعينى شعاعا من تباشير النهار (30)

وأما الشبان الفدائيون ــ وهم أغلب شخصيات المسرحية ــ فهم من الفتيان والفتيات أولا ثم هم من مختلف الاصناف الاجتماعية من الفلاح والعامل الى المثقف ثانيا ·

وبهذه الصورة عبر المؤلف أصدق تعبير عن واقع الثورة الفلسطينية المتطور · هو الواقع الذى انتقل فيه الانسان من « لاجىء » ينتظر اعانة هيئة غوث اللاجئين الى فدائى مناضل تهتز معابر هيئة الامم المتحدة عند دخوله اليها ويهتم بكل حركاته وأقواله الاصدقاء والاعداء ويولونها بالغ العناية والتقدير ·

أما الاغراض التى حللها المؤلف من خلال الحوار بين شخصيات المسرحية فهى نفس الاغراض التى أشرنا اليها فى القسم السابق من هذا البحث الا أنه

---

(30) « زلزال فى تل أبيب » ص 17 ــ 18 ·

حلل بعضها بأسلوب أوضح ، منها خاصة : مفهوم الثـورة ووحـدة صفـوف المقاومة الفلسطينية ٠

مفهـوم الثـورة :

ان كلمة ثورة وثائر وما تعلق بها من بقية الصيغ كثيرا ما تستعمل فـي العالم العربى ٠ ولكنها من الكلمات التى يسودها غموض ، سواء عن قصد أو عن جهل الميدان السياسى والفكرى ٠ ولعل هذا العامل هو الذى جعل المؤلف يخصص فصلا فى المسرحية للثورة ٠

ومن عنوان المسرحية نفسها « زلزال فى تل أبيب » ثم من خلال الحوار بين الشخصيات نستشف مفهوما محددا لهذه الكلمة وهو ليس المفهوم الشائع فى بعض البلدان العربية والذى يعنى به أصحابه الكلمة المؤثرة التى تحدث انفعالا يزول بزوال مصدره ، وانما الثورة حسب أبطال المسرحية وعى دائم بجوهر القضية وسعى الى قلب الواقع وتغييره تغييرا جذريا وهى أيضا :

الثورة رشاش هادر ٠٠٠
فى زند مفتول قادر ٠٠٠
لا خطبة أفاك غادر ٠٠٠
للشعب يبيع الاقوال
الثورة جيل فعال ٠٠٠
وسط الادغال ٠٠٠
لاخطبة لص دجال ٠٠٠
لا يملك غير الاقوال (31)

أما « وحدة صفوف المقاومة » فقد ألح عليها المؤلف شديد الالحاح لانه العمل الاساسى فى نجاح الثورة الفلسطينية وتقويتها حتى تجابه العدو بأكثر صلابة وأعنف صمود ٠ وحتى لا نطيل فى تحليل هذه المسرحية (32) لان المجال لا يسمح بذلك ، يكفى أن نشير الى أن الاستاذ الميدانى بن صالح عالج فيها أهم

---

(31) المصدر السابق ـ ص 40 ٠

(32) انظر المقال الذى حللنا فيه هذه المسرحية والصادر بجريدة ـ الصدى ـ الاسبوعية فى 20 و 27 جانفى 1975 ٠

القضايا المتعلقة بالثورة الفلسطينية فكانت بذلك من أكثر الآثار الادبية قيمة من حيث دعم القضية العربية وتوضيح أسسها وآثارها • وشاءت الصدفة أن يكون صدورها فى نفس الاسبوع الذى ألقى فيه المناضل ياسر عرفات خطابه الذى أحدث زلزالا فى كل القلوب والعقول المعادية للعرب وخاصة فى « تل أبيب » •

أما المسرحية الثانية التى عالجت القضية الفلسطينية فهى :

« الارض المغصوبة » للاستاذ عمر بن سالم • وهى مسرحية نثرية ستصدر قريبا أهداها صاحبها الى الفدائيين الفلسطينيين وإلى الثوار الاحرار فى كل صقع ودار •

وتتألف المسرحية من ثلاثة أقسام حلل فيها الكاتب جوانب القضية وطبيعة الصراع بين العرب واليهود بالاعتماد على منطلق تاريخي • فقد أعاد الى الاذهان الخلاف الذى كان قائما بين العرب واليهود بالطائف فى الجزيرة العربية •

ومن خلال ذلك الصراع أشار الى أهداف الصهاينة التوسعية كأن يقول ملك اليهود مخاطبا حاشيته لحثهم على اجبار العرب لترك الارض والهجرة منها :

« فكل الجزيرة من الشمال الى الجنوب ومن النيل الى الفرات ملك لسليمان من غابر الازمان وهى موطننا الموعود يا أحفاد هود » (33)

ومن المواضيع التى تناولها المؤلف خلال الحوار بين الابطال دور الشباب العربى وسعيه الى جمع صفوفه واعداد العدة للفتك بالعملاء أولا ثم بالصهاينة ثانيا ، وهذا ما يحدث فى نهاية المسرحية فينتصر العرب ويسترجعون الارض ويفتكون باليهود فيضطر هؤلاء الى الهجرة ويكون مآلهم التشتت والتشرد •

ويتبين لنا من المسرحيتين المذكورتين أن كتاب هذا الفن الادبى قد عالجوا جل القضايا المتعلقة بالثورة الفلسطينية بالاسلوبين النثرى والشعرى ولذلك فرغم قلة المسرحيات ــ وهو أمر يحتاج الى التذكير والتنبيه ــ الا أن الطريقة التى عولجت بهاالقضية جعل الكيف يعوض نسبيا الكم فى انتظار ظهور مسرحيات أخرى جديدة •

وتجدر الاشارة الى أن عددا آخر من المسرحيات قد تناولت القضية لكن بطريقة غير مباشرة ، اذ اهتم أصحابها بالاسباب التى أدت بفلسطين الى

---

(33) ــ « مسرحية الارض المغصوبة » ص ٢٥ •

هذا المال وخاصة الواقع العربى وما فيه من نقائص وأمراض فى ميادين الفكر والاجتماع والسياسة ·

3) ـ فلسطين فى « القصة » :

تناول كتاب القصة القضية الفلسطينية فى مناسبات مختلفة وبدرجات متفاوتة من الاهتمام والعمق وكان ذلك فى نطاق القصة القصيرة بالخصوص ·

إن الغرض الذى عالجه هؤلاء الكتاب هو خاصة : الثورة الفلسطينية ، أما بقية الاغراض التى وجدناها عند الشعراء وكتاب المسرحية فقد وقعت الاشارة إليها بتحليل أقل وبايحاء أكثر ·

ومن أحسن القصص التى يمكن أن تذكر فى مثل هذا المقام قصة « فاطمة » (34) لجلول عزونة · فقد أشار فيها الى النشاط الفدائى وما يبذله المناضلون الثوار من تضحية للقضاء على الكيان الاسرائيلى · وقد اعتمد الكاتب لتصوير الاحداث على مصدرين احدهما علمى وهو عملية زرع القلب التى أجريت على « بلايبرغ » منذ سنوات خلت وأثرها فى استمرار الجسم فى الحياة وصموده أمام الفناء ومن ثم التعرف على امكانية قبول الجسم للعضو الاجنبى ، وثانيهما نشاط المقاومة الفلسطينية فى الارض المحتلة وما يلاقيه الفدائيون من معاملة قاسية من « سجن وتعذيب وقتل أحيانا فلا يصل الى المحاكمة الا القليل منهم »

وما دام « زرع أعضاء الجسد يستدعى تعريفا جديدا للموت » كما قال أحد الاطباء فقد كانت نهاية « بلايبرغ » هى الموت والفناء وهو « مصير اسرائيل المحتوم » ·

وبالاضافة الى هذه المزاوجة بين العلم وبين الثورة الفلسطينية ومالها من أبعاد فى استغلال جميع المعارف العصرية لتوضيح جوانب القضية ، فان الكاتب قد استعمل أيضا الاسلوب القصصى الجديد الذى يختلف عن الاسلوب القديم من ناحية البناء الفنى ، وأهم ما يمكن استنتاجه من كل ذلك هو سعى بعض القصاصين التونسيين وخاصة الشبان منهم الى استخدام الوسائل والمعارف العصرية لمعالجة القضية العربية · ولا شك ان العرب وخاصة الادباء منهم والمفكرون مطالبون بهذا النوع من العمل لان ذلك يساهم فى فرض القضية فى مختلف المستويات وبالنسبة الى جميع الميادين ·

---

(34) الملحق الثقافى لجريدة « العمل » الجمعة 23 جانفى 1970 ·

أما بقية الاقاصيص فقد عالجت أيضا نفس الموضوع بأساليب مختلفة منها ما يعتمد على الايحاء وما فيه من اثارة كما هو الشأن فى أقصوصة « بندقيتى » (35) للكاتب حسن نصر، ومنها ـ وهو الاكثر ـ ما يستعمل فيها أصحابها الرمز الا أن هذا الصنف الاخير يعالج اكثر من موضوع من المواضيع المتعلقة بالقضية الفلسطينية وخاصة منها مسؤولية بعض الساسة العرب فى الهزيمة وما أبدوه من تخاذل والتواء تجاهها وما يعاملون به الحركة الفدائية المناضلة .

ومن الملاحظ أن لغة بعض الكتاب قد تأثرت تأثرا واضحا بالثورة الفلسطينية فكثيرا ما نجد كلمات مثل « السلاح ـ الرفض ـ عين مفتوحة ـ كفوهة بندقية » ـ التمزق ـ الرشاش ... وهذا يدل على تفاعل هؤلاء الكتاب تفاعلا عميقا وداخليا واهتمامهم بالنشاط الفدائى بوجه خاص .

الخاتمة :

ان هذا البحث الموجز الذى قمنا به للتعريف بالقضية الفلسطينية فى الادب التونسى الحديث ، وخاصة ما بين سنتى 1967 و 1973 يمكننا من استخلاص النتائج التالية :

1 ـ لقد عالج الاديب التونسى قضيتنا العربية فى مختلف المراحل التى مرت بها وفى جميع الظروف .

2 ـ ان هذه المعالجة لم تكن سطحية عابرة بل كانت عميقة شاملة لكل الجوانب .

3 ـ ان كل الانماط الادبية قد ساهمت فى العمل القومى سواء فى المقالة أو فى الشعر أو فى القصة أو فى المسرحية .

4 ـ ان الانتاج الادبى المتعلق بالقضية غزير جدا وخاصة فى **ميدان الشعر** وهذا ما اضطرنا الى الاقتصار على دراسة انتاج بعض الادباء على سبيل المثال لا على سبيل الحصر على أن نقوم فى وقت لاحق قريب باعداد فهرست ببليوغرافى لكل ما كتب عن القضية الفلسينية فى الادب التونسى الحديث (36) .

---

(35) المصدر السابق ـ 23 اكتوبر 1970 .

(36) ـ إن الغرض من هذا البحث هو **التعريف** بوجه من وجوه الموضوع . وإننى أقوم الآن بدراسته دراسة شاملة **تحليلية** مع إعداد فهرست يحوى كشفا لكل ما كتب عن قضية فلسطين فى الادب التونسى الحديث وسأسعى الى نشر هذا العمل فى الابان .

5 ـ ان القضية قد أثرت فى الادب الحديث تأثيرا واضحا سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون وعمقت وعى الاديب العربى • وهــذه ظاهــرة اساسية وان أشرت اليها خلال أقسام البحث المختلفة الا انها فى نظرى جديرة بدراسة خاصة مستوفية •

وتجدر الاشارة فى هذه المناسبة الى أن ما أبدته الصحف والمجلات التونسية من اهتمام بالقضية قد زاد فى تشجيع الادباء على الكتابة ويكفى ان نذكر أن مجلة « الفكر » قد خصصت عدة أعداد للثورة الفلسطينية بالاضافة الى مــا تنشره عنها من انتاج بصورة دورية مستمرة •

وفى ختام هذه المحاولة التى قصــدت بها **تعريفا موجزا** بما بذله الاديب العربى فى تونس من أجل قضية العرب الاولى ، أرجو أيها السادة ، أن أكون قد حققت شيئا من ذلك خدمة للقضية ومساهمة فى ابراز مدى تأثر الاديب والمفكر العربى عامة بها وتأثيرها فيها التأثير الايجابى الذى يزيدهــا دعمــا يقربها الى النصر • ولا قيمة للكلمة ولا للفكرة فى ربوعنا اذا لم تكن خادمة لقضايا الانسان ، عاملة على تركيز وعيه بواقعه كما هو كائن وكما يجب أن يكون • وبهذه الصورة نعطى للادب دوره الحى الذى لا يكتفى بمجرد ظهوره فى الوجود بل يسعى الى اضفاء النضارة والتجدد الخصب على هذا الوجود •

محمــد مواعــدة

(تونس)

ـ أفريل 1975 ـ

المصــادر والمراجــع

اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصــادر والمراجــع لاعــداد هــذا البحث « التعريفى » أهمها حسب تاريخ صدورها :

ـ مصطفى خريف ، ديوان « شوق وذوق » ـ الطبعة الاولى ، تونس ـ 1965 •

ـ أحمد اللغمانى ، ديوان « قلب على شفة » ـ الطبعة الاولى ، الدار التونسية للنشر ـ 1966 •

ـ محمد الهــادى المــدنى ـ ديوان المدنى ـ الطبعة الاولى ، الدار التونسية للنشر ـ 1968 •

- نور الدين صمود ، ديوان «رحلة فى العبير» الدار التونسية للنشر – 1969
- محمد الحبيب الزناد ، ديوان « المجزوم بلـم » منشورات النادى الادبى – دار الثقافة ابن خلدون ، تونس 1970 ·
- محى الدين خريف ، ديوان « كلمات للغرباء » الدار التونسية للنشـر – تونس 1970 ·
- الطاهر القصار ، ديوان «القصار» الدار التونسية للنشر 1971 ·
- على عارف ، ديوان « أبعاد » الدار التونسية للنشر 1971 ·
- محمد الشاذلى خزندار – ديوان خزندار – الطبعة الثانية ، الدار التونسية للنشر 1972 ·
- الميدانى بن صالح ، ديـوان « الليـل والطريـق » الشركـة التونسيـة للتوزيع – 1972 ·
- منور صمادح – ديوان « نسر ونصر » الدار التونسية للنشر – 1972 ·
- الهادى عبد الملك – مجموعة شعرية « العطر والرصاص » – تونس 1972· مجموعة شعرية « الناى والنار » – تونس 1973 ·
- جعفر ماجد ، ديوان « غدا تطلع الشمس » الشركة التونسية للتوزيع – 74
- الميدانى بن صالح « زلزال فى تل أبيب » الدار التونسية للنشر – 1974 ·
- عمر بن سالم – « الارض المغصوبة » (يعتزم المؤلف نشرها قريبا) ·
- مجلة « **الفكر** » **التونسية** : اعتمدت كل الاعداد الصادرة بين سنتى 1967 و1974 وخاصة :
- عدد مارس 1973
- عدد ماى 1973
- عدد جوان 1974
- الملحق الثقافى لجريدة « العمل » التونسية : الاعداد الصادرة بين سنتى 1969 – 1972 ·
- جريدة « الصـدى » التونسية : خاصة العددان الصادران فى : 20 و 27 جانفى 1975 ·
- مجلة « الآداب » البيروتية : عدد أفريل 1972 ·

العائـــــد

شعر : محمد جميل شلش

(العراق)

« الى غسان كنفانى شهيد الكلمة الرصاصة »

رافعا مصباحها ٠٠
عبر جدار المستحيل
حاملا آلام جيل
ماحيا عن جبهتى ٠٠
عار سلاطين الهزيمه ٠
جئتكم يا إخوتى فى الموت ٠٠
فى ومضة طيف ٠
جئت لا أحمل فى الصدر النياشين
ولا أزهو كطاووس
على أمجاد زيف ٠
جئتكم ٠٠
أحمل فوق الصدر شاره
ضوأت
وانطفأت ٠٠ حمراء فى ليل الرحيل
واستحالت باسمكم : صرخة جيل
واستحالت ٠٠
وأنا أطرق باب الصبر
فى ليل الجريمه
ماردا
يفتح باب المستحيل ٠

م٠ ج٠ ش٠

الشنق بالاسماء فوق الغصن الاخضر

قصة ، بقلم : محمد الحبيب براهم
ـ تونس ـ

الاهـــداء :

إلى من شاهدته العقلية الصهيونية بعدسة صحافتها متمنطقـا بمسدس أثناء خطابه وشاهده العالم بصـوت الضميـر رافعـا غصن الزيتون الغض الاخضر ٠

٠٠٠ الى السيد يـاسر عرفـات فى لحظة وقف فيهـا الزمـن وسجل التاريخ وصفقت طوابق الأمم المتحدة ٠

①

ابحث عن هويــة ٠٠٠

أما والله إنه لكرسى وثير ٠٠ إيه إيه ٠٠ وثير حقا ٠ ومد رجليه ، استمرأ الجلسة المرتخية ولكنه عاد يتحفز ٠٠ عليه أن يحذر والا استغرقه النوم وضاعت منه محطة الزمن ٠٠ محطة لا تعود ٠ ولكن ماذا قال ؟ محطة ! إنه فى طائرة ٠ سيان ليقل المطار إذن ٠ وتساءل عن المطار الذى يؤم وجهته ٠ وارتج عليه ٠ اين تقصد الطائرة المحلقة ؟ واجهد نفسه ، نسى الاسم ! وعاد يجهد نفسـه وشعر بالارهاق ٠ لن يعرف ٠ أقر سلفا بالعجز ٠ اعماقه ممسوحة القرار ٠ ما يتذكره طفيف ٠ صعد يوما الى طائرة تتحرك الى الامام وألقى رأسه يستجمع شتات ذهنه ٠٠

ـ « آلو ! آلو ! الرجاء من السيد « مجهول » التقدم حالا الى مركز المراقبة فالطائرة المسافرة عبر الزمن توشك على الاقلاع ٠٠ شكرا ٠ »

وانتفض فى مكانه ٠ أخذته سنة من النوم ٠ أوصى « عجوزا » كانت بجواره أن توقظه بعد ربع ساعة فهو منهك ٠٠ منهك ! وأسند رأسه قليلا ثم خـاف

من ضعف ذاكرة العجوز فعاد يرجو شابا بجوارها لم يتبين ملامحه ، تنبيهه ٠٠ لعله « ابنها »٠٠ وأغفى٠٠ وأفاق مذعورا ٠ صوت المكبر يستحثه ٠٠ من كانوا حوله انفضوا ٠٠ العجوز والشاب الطويل « ذو التقاطيع المطموسة » وأطياف أخرى كثيرة كثيرة ٠٠ كلهم تبخروا ٠ وبقى وحده ٠ وتمتم ساخطا ، وهرع الى الباب المؤدى الى ساحة المطار حيث تربض الطائرة ٠ وقبل ان يدفع بنفسه داخله تذكر ٠٠ ورجع يعدو الى المقعد الذى كان يتوسده ٠٠ ضاعت حقيبته ٠٠ والتفت كالمجنون ٠٠ لا شيء حواليه ٠٠ ليست موجودة ٠ و « الميكرو » يستحثه ، وهو يدور حول نفسه ٠ ولكن فيها جوازه وثيابه ونقوده ٠٠

« آلو آلو ٠٠ الطائرة المسافرة عبر الزمن تقلع بعد لحظات وجيزة »

وعاد الى مجثم الطائرة يلهث ٠ ضاعت الحقيبة ! أيعلم شرطة المطار ؟ ولكن الطائرة تتحرك ، والشرطة باقية ٠ لا لن يبقى قضية فى محضر تحقيق ٠٠ سيسافر بلا حقيبة !

ـ « أأنت السيد « مجهول » !؟ »

ونظر الى المضيفة تحملق فيه شبه غضبى ٠ ولم يفتح عينيه فيها مليا ٠ لم يولها اهتماما ٠ لن يرد عليها حملقتها ٠ لعلها تظن انه سيحدق فيها مشدوها ٠ كلا لن ينبهر ٠ أوتظنه مثل أولئك الذين يسرعون حالما يمتطون الجو الى التخلص من خاتم الزوجية يراودهم حلم المغامرة مع حسنوات « ما بين الارض والسماء » ٠ لن ينظر اليها ٠ ليس جميع الرجال سواسية ٠ لن ينظر اليها ٠٠ لن يجيبها ٠٠

وعاد يتلمس مقعده ٠٠ وثير جدا ٠ وغمره الاسى من جديد ٠٠ ترى كيف حال حقيبته المهجورة التائهة ٠ هل سرقت أم ضلت طريق ركوب البضائع الى طائرته ٠ واختنق للذكرى ٠ وتململ فى مكانه كالباحث فى يأس ٠ وتسمرت عيناه وكاد لا يتماسك نفسه من السباب ٠ كانت العجوز الكريهة وراءه ، فى المقعد الخلفى مباشرة ٠٠ ماذا ؟ والشاب الطويل ذو الملامح المطموسة بجوارها ايضا ٠٠ هاهاها ٠٠ رفقة مؤنسة ، وسفرة ممتعة ٠٠ وكاد يصيبه الغثيان ٠٠

②

بين أفـواه مسعـورة

وتحركت الطائرة حركات مريبة ٠ له صولات وجولات في عالم الاسفار فما هكذا يكون الطيران ٠ لماذا لم يحضروا اليه بعد ما يأكل ! والمضيفة ما دورها ؟ لعلها أهملته لانه لم يغازلها بعينين جائعتين وتواصل تحرك الطائرة اهتزاز عنف : أتتثاءب هي أيضا من إغفاءة ٠ لا شك انها منزعجة أو قد تكون أضاعت دربها كما اضاع حقيبته ٠ وأحس بفناء الطائرة يتمطى ٠ ورفع وجهه والتفت حوله رأى عجبا ٠ شاهد عيونا كثيرة تحملق فيه ٠ عيونا متسعة متربصة لم يتبين لها رؤوسا ولا أجساما ٠ كانت عيونا لا غير ، مترصدة متحفزة ٠ وفتح حدقتية جيدا ٠ ما أكثر عددها ٠ ولكنها كالفقاقيع تظهر وتختفي لتتوالد من جديد٠ كهوف مظلمة أو فوهات مدافع منذرة٠ ولكنها تلتمع ٠٠ تشتعل بريقا كالعملة مزيفة لا تغري ٠ ومسح جفنيه مليا ٠ أحمولة الطائرة بشر أم عيون تسبح في محاجر ؟٠ وبدأ يتنفس الصعداء ٠ أخذت السحنات تتضح ٠٠ خرائط بشرية متميزة ٠٠ أوف أوف ! عينا العجوز تسبقان الى الارتسام على ناظريه المتفحصين ٠ في عيني هذه العجوز بريق كرنين الذهب ولا ذهب ، يسيل منهما دمع لزج يقشعر له جسمه ٠ وحول بصره متهربا ٠٠ عينان متوهجتان أخريان ٠ تدوران بدقة وسرعة ما زالتا تعملان بنشاط لا يفله مفعول الزمن٠ لا ريب في أن صاحبهما حديث الولادة في بطاقة التاريخ ٠٠ عجبا ! انهما عينا الشاب الطويل ذي التقاطيع المطموسة ٠ سحقا له وللعجوز ٠ أوصاهما بنفسه فأهملاه٠ وتذكر بلوعة حقيبته ٠ هل ضاعت أم تاهت ؟ وتنظر العيون الى بعضها البعض ايضا ! لا غرابة ٠٠ كيف لا يمتزج السائل اللزج بتربة الارض اللقيطة ٠٠ هذا المعدن من تلك الطينة ٠ وقفز بعينيه من هذا الركن الذي انحصر فيه ٠ أما في الطائرة غير العجوز وابنها ؟

وفجأة تجمد الدم في عروقه ٠ أحيتان تسعيان أم عينان تتحركان في بريقهما فحيح يسرى ومن وقعهما نفث مسموم٠ وفغر فمه٠ لم ير في حياته عينين من هذا القبيل برزتا من عناق العجوز والشباب ٠٠ عينان ولدتا فجأة ٠ ملأتا فضاء الطائرة ٠ عين حمراء كالاثم وعين ظلماء كالعدم ٠ ولسعت وجهه لفحات الاحمرار المظلم ٠٠ لم يفهم كيف يتطاير الشرر من الظلمة ، لو لم يكن الوقع حادا ممزقا يلفح وجهه لما صدق ما يرى ٠ وهرب بوجهه من هذا المشهد الرهيب ٠ ما الذي ألقى به في أتون هذه الطائرة اللعينة ٠ ليته أضاع نفسه لا حقيبته فحسب ٠ وعادت الطائرة تهتز في عنف

وانكمش فى مكانه يحرقه شواظ عين محمرة دامية ويغمره ظلام عين مجوفة سامة ويثير القشعريرة فى جسمه شعاع لزج من عينى العجوز ويلف رأسه دوار راقص تراقص محجرى ذى الملامح المطموسة • وأغمض عينيه متهربا من النار والسم والظلام والغثيان والدوار •

وخيل اليه أنه أفلت من العيون المطاردة ، وأفرخ روعه • حملق فى السقف طويلا • السقف وحده يحمينا عندما نخجل او نجبن • نهرب اليه بأعيننا وننسى أن بقية الجسم مازالت فى الارض • لكن السقف هذه المرة أنقذه • وداعبه خاطر : ترى كيف تكون السماء عندما تصمد اليها طائرة تحلق على ارتفاع آلاف الامتار • أهى رحبة كسالف عهدنا بها • ألا يضايقها تطفلنا عندما نقترب منها فتتقلص وتكفهر •• لو انشق سقف الطائرة ليرى • فجأة غاص قلبه فى أقدامه • أحس كما لو أنه ألقى به من علو شاهق فى فضاء سحيق •

ـ « سيداتى سادتى ، اننا نتصدى لتقلبات جوية مفاجئة فلازموا الانتباه وكونوا مطمئنين ، ولا تنسوا ربط أحزمتكم فقد نضطر الى النزول • شكرا »

والتفت حوله • فوضى مطبقة • العيون كل العيون تتراقص • وكاد يتنفس الصعداء فخوف الجميع يبدد خوف الواحد •• ولكن صدره عاد ينقبض • انه يرى هولا • نغمات رقصة العيون لا تنبىء بالخوف او الفزع بل هو لحن عربيد صلف جهير منكر خليع •• ما للعيون تحضن بعضها وتتعانق ، أهى ثملى ؟ وتساءل فى رعب : أهى مصيبته وحده تلك التى تهدد الطائرة •• هل الخوف فى أعماقه برد طمأنينة عند من حوله ؟• ولامس كيانه بريق العيون الزاحفة الراقصة جذلى بألمه • نشوى بضياعه مستلذة حيرته • وأحس بروحه تلدغ • وتلوى فى مكانه والاعين تسد عليه الانفاس ، وبحث • أيصعد بجثته الى السقف •• عيناه فحسب هربتا الى هناك • الفضاء رهيب لا يرحم ، انه سيلتهمه حتما • وانكمش فى مكانه على النظرات المتساقطة لا تجد الا منافذ صغيرة ، وتواصل زحف العيون وتقلص جسمه ولكنها أحاطت به وتكور فلم يعد يبصر ما يحدث • هرب برأسه داخل جسمه • وتذكر ما يقال عن « النعامة » • ولم يدر أيبكى أم يضحك ••

③

وبطاقة التعريف عند التاريخ طفرة

مضى وقت ليس يدرى مداه • وخفت وطأة النظرات الناهشة وبدأ يخرج رأسه من طيات ثيابه • وغمره وهن كبير • جسمه يكاد يضمحل • لم تبق الا

ثيابه على حالها • أعضاؤه تضاءلت ، رأسه فحسب ظل ضخما • وبحث فى رعب عن مرآة • والتفت الى بلور النافذة حذوه • ليس دقيق الاحكام • لا بأس فالحقيقة حقيقة ولو كانت نسبية • وكاد يصعق والبلور يعكس الحقيقة النسبية • له جسم قزم •• كان أرضا واسعة •• فيها صحارى ومرتفعات وسهول وممرات مائية •• وها هو يضحى قزما قميئا تنوء الأعضاء برأسه الضخم • ولكن ثيابه ظلت هى ايضا كسالف عهدها • وخيل اليه أن شفتيه اغتصبتا ابتسامة • ثيابه ! ستار الزيف • أأكلت العيون المجرمة لحمه وهو نائم •• قواه تبخرت فى نهش الالحاظ المزبدة المرغبية طيلة رقصة العدم المتجبر •• وأدمن النظر فى أسى • بالطائرة صمت مهيب • ثيابه تلعق جراحه أما من حل لملء فراغ هذه الثياب الفضفاضة • وأقبل يأكل ما سبق أن وضعته أمامه المضيفة حالما صعد فيما يبدو • واستنكف من أن ينظر اليه او اليها • ليملأن بطنه حتى تنتفخ كذى قبل • لم يدرك الى حد لحظته هذه كيف نهشت العيون المتربصة لحمه دون ان يتفطن • لا شك أنه كان غائبا عن الوعى • أبدا انه يذكر مليا حالته • كان يحملق فى السقف • لعل ما كان فى جسمه ليس لحما بل هو هواء فارغ • انصبت الاعين فانكمش الجسم وتكمش الجلد واصبح العملاق الممتد فيه قزما • هذه المرة ليصبرن حتى يكسى الجلد لحما والرأس جسما • وأنهى أكل ما أمامه من أطايب الطعام وسرى الدم فى عروقه وهاجا • وعاد الى البلور الجانبى • وابتسم • عملاق الرأس والجسم ! وهبت من صدره ريح العزة والتحدى • وبحث فى اعتداد عن الاعين المتبجحة • كانت خامدة • ولم يسمع سوى شخير يتصاعد من ارجاء الطائرة • كلهم ناموا • تعبوا من الرقص وكلت عيونهم من التجوال المفترس • وانتابته رغبة ملحة • لو فتح أزرار الهواء المكيف كلها • انها تستمد نسماتها من خارج الطائرة ، والفضاء الشاهق صقيع ليلا ، ولكنه لن يخشى شيئا • لن تسقط المنافذ الصغيرة طائرة ضخمة والا لما أحدثوا فيها هذه الثقب • سينغص على رموش تلك الاعين هدأتها بعد رقصة الدمار • وانطلقت الثقوب الهوائية دفعة واحدة • عثر الهاما على الزر الذى يسيرها جميعا • لم يكن واثقا من قدرته على الوحى • واندفعت مجارى الهواء زوبعة « عاصفة » جارفة وترنحت الطائرة فى الفضاء وتيارات الهواء تعصف بها من الداخل فتكادتشطرها وفجأة انقلبت على ظهرها • وساد هرج ومرج • كانوا يتصايحون فى ذهول الصوت المخمور • قفزت الاعين من محاجرها وتداخلت النظرات وتشابكت يجتاحها رعب مفحم •• وجلس هادئا لا تنهشه عين ولا تلفحه ريح ولا يتلوى للطائرة المتموجة ! ولم يمنع نفسه من الضحك وهو يشهد قفاه سقفا وتطلع الى العيون

المرتجفة تحته ٠ انها المقاييس ٠ تقلب ظهر المجن ٠ وهى الحياة ! لعبة يسيرة عويصة تريدها فتسيرها وتخشاها فتخسرها ٠٠

ـ « آلو آلو ٠٠ شدوا من فضلكم أحزمتكم وحافظوا على هدوئكم فسنهبط اضطراريا ٠٠ »

وتأمل فى هدوء مبتسم من حوله ٠ العيون كسيرة والاجسام تسوى نفسها فى مقاعدها بعد ان عاد الى الطائرة توازنها ، لكن اهتزازاتها لم تتلاش

ـ « آلو آلو ٠٠ مفاجأة سارة مع الظروف المؤسفة ٠٠ لقد طوحت بنا العاصفة فى سماء بعيدة ٠٠ سيداتى سادتى ، بعد لحظات ننزل فى مطار « هانوى » الدولى ٠٠ شكرا ٠ »

وهزجت أعماقه٠ ما كان يحلم يوما بزيارة «هانوى» ٠ ما أسعده بعواصف من هذا القبيل ٠ ونظر فى شماتة القاهر الى الذين ضاعوا فى ملامسة اصبعه للزر السحرى ٠ أنم يتهاونوا فى ايقاظه فأضاعوا حقيبته ٠٠ ها هو يوقظهم ، لكن ٠٠ وقهقه ٠٠ استيقظوا تائهين ضائعين فى سماء « هانوى » أيلائم جو هذه المدينة مزاجهم وتركيب اجسامهم ٠ وأحس فى صدره نسيما عليلا منعشا أما والله ان هانوى كما يبدو لمن طينة تلائمه ٠٠ ووقف مزهوا نشيطا ٠ ولكنه لم يبصر أحدا ٠ اين ذهبت العيون والعجوز وابنها وما بينهما ٠٠ ولكنه لا يتبين غير مكانه ٠ أتسرب ضباب الجو الى داخل الطائرة أيضا ؟ عليه أن يغلق مسارب الهواء فقد يكون نفذ منها ٠٠ الطائرة تنزل بسرعة متلهفة ورقص قلبه هذه المرة ٠ ولم يغص فى قدميه ٠٠

④

والطفرة عدو تثاوب !

ـ « آلو آلو ٠٠ السيد « مجهول » مطالب بالاتصال حالا بطاقم الطائرة المسافرة عبر الزمن ٠ شكرا »

وتأفف ٠ أحتى فى فترة « الترانزيت » لا يتركونه ينعم ببعض الراحة النقية ؟ ٠ الطائرة المسافرة عبر الزمن ! ألا يمكنه أن يتملص للحظات من سياقها الصارم ٠٠ لن يذهب الى المضيفة ولن يغادر جلسته البسيطة المسترخية ٠ راعه هدوء ينطق بالعمل الجاد وأخذ بالبساطة المتناهية لكل ما

تقع عليه عيناه ٠ ولكن النداء يتكرر بالحاف متزايد ٠ هل جد أمر ٠ ووقف ٠ وعاد يجلس ٠ بمن يتصل !٠ لا يعرف مضيفة الطائرة ٠ شاهدها ولم يتأمل فيها ٠٠ سمعها ولم يرفع عينيه اليها ٠ هي عنده صوت آلة لا ملامح صـورة تنزع من اجلها « دبلة » الزواج ٠٠ لا فائدة ترجى من أن يعتصر ذاكرته فهو لا يتصور مطلقا مضيفة طائرته ٠٠ ولم يعد يطيق الجلوس ، أخذ يتحـرك فى كل اتجاه ٠ بداخله قلق ليس يدرى مصدره أأحب المضيفة دون ان يراها ٠٠ وابتسم عن مضض ٠ من الحالات ما يغتصب الابتسام ٠ أليست الاذن كما قيل تعشق قبل العين أحيانا ٠ نادرة حياته كلها لو حدث ذلك ٠٠ استنكف عشق الصورة فوقع صريع خيال « الميكرو » الملح ٠ أصبح يتوق الى انتهاء ساعات « الترانزيت » ملأ صدره من هواء « هانوى » به قوة للتصدى الى كل عيون العالم الممتصة لدماء النائمين ٠٠

ـ « آلو آلو ٠٠ على جميع ركاب الطائرة المسافرة عبر الزمان أن يلتحقوا بساحة المطار ٠٠ بعد قليل يتم الاقلاع ٠ »

اللهجة جافة هنا ٠ ولكن لا عليه فليس سفيرا حتى يخاطب بالقفاز الحريرى هرول فى حرقة ٠ لم يتأمل فى وجه أحد ٠ كان يبتغى وجه المضيفة ٠ سيعثر عليها حتما ٠ وعلى مدرج الطائرة اعد نفسه للاكتشاف ٠ وبحذر ولهفة نظر ٠ وتسمرت عيناه ٠ انبهر ٠ ما أشد غباءه ٠ كان أرعن العناد ٠ أأضاع كل تلك المدة التى سافر فيها دون ان ينهل من معين هذا السحر ؟ وصرف على أسنانه حنقا على نفسه ٠ وحقد على إبائه الصبيانى استنكف من أن يرفع اليها عينيه ، وها هو يتمسح بنظراتها ٠

ـ « ألست السيد « مجهول » ؟ »

يا لصوتها الحالم يتموج همسا رفيقا ٠٠ آكانت أذناه صدئتين فى جـوف الطائـرة ٠٠

ـ « بحثنا عنك طويلا فلم نقف على أثر لك ٠٠ »

وصمتت لحظة ثم أردفت فى هزل كالجد :

ـ « خشينا أن تكون استمرأت التدرب على حرب العصابات٠ فهانوى٠٠» وضحكت ٠٠ لم تتم قولتها ٠٠ وفهمها ٠٠ ونظر الى هذا الدفق من السحر:

ـ « ظننتك مضيفة ٠٠ »

وعادت البسمة شعاعا منسابا :

ـ « فعلا ٠٠ أنا من ظننت ٠٠ أم تخالني جاسوسة ٠٠ »

وتمتم مأخوذا :

ـ « سيان عندي ٠٠ »

ثم بعد ثوان :

ـ « رائعة بحق ٠٠ أعتذر عن صراحتي ولكنك خفيفة الظل الست من ٠٠»

وقاطعته :

ـ « أسبانيا ٠٠ من قرطبة ٠٠ »

أسبانية !٠٠ قرطبية !٠٠ ولادة !٠ هي اذن ٠٠ ألم يخيل اليه انه يعرفها٠ وعاد يتأمل مبسمها الفتان وجدائلها السوداء المرسلة ٠٠ لقد صدق حدسه ٠٠ ولادة ٠٠ وابتسم هامسا :

ـ « ولادة ٠٠ قرطبة ٠٠ هانوى ٠٠ »

وتململت الجدائل السوداء الطويلة :

ـ « أردنا اخبارك يا سيدي بأننا عثرنا على حقيبتك »

لم يكن يسمعها فما انفك يردد :

ـ « التاريخ ٠٠ ما أروع التاريخ ٠٠ ولادة عبر هانوى ٠٠ عجيبة ٠٠ كقصتي مع الزمن ٠٠ كقصة حقيب ٠٠ »

وحملق فيها فجأة وتوقف كمن وعى أمرا وصاح :

ـ « ماذا قلت ؟ عثرتم على حقيبتي ٠٠ أين هي ؟ قولي ٠٠ أين هي ؟٠٠ ضاعت طويلا ٠٠ اين هي ٠٠ أريدها حالا ٠٠ »

ـ « لا تنفعل يا سيدي ٠٠ وجدناها صدفة في هذا المطار ، ولعلها تاهت كما تهنا والتائه للتائه ٠٠ »

واقترب منها متوسلا محتدا مقاطعا :

ـ« أين هي ؟٠ حقيبتي ! »

وابتسمت في اشفاق :

ـ « هى بجوارك يا سيدى ٠٠ لا لا ليست بجوارك هنا ٠٠ بل فى الطائرة وضعناها حذو مقعدك حتى نتدارك ما سلف ٠٠ »

وتابعته بناظريها يقفز درجات السلم المنتصب ، ولمعت فى عينيها مشاعر الحنان والود ٠٠

⑤

وزغرد مخاض الحضارة على خط الوصول !

طـــال السلم !

الدرجات لا تنتهى ٠ أما يقترب فناء الطائرة ! هذا السلم عجيب ٠٠ انه كناطحة تعطل مصعدها سنوات فعلاه الصدأ ٠٠ لا ضير ٠٠ أنفاسه حارة لاهثة شوقا يجلو صدأ الزمن ٠٠ حقيبته ٠٠ حقيبته الحبيبة ٠ وجدها أخيرا ٠ قالت المضيفة انها وضعتها بجواره فى مقعده ٠ وهل عرفت مكانه ٠٠ ألم يغير موضعه ٠٠ لا شك أنهم كانوا يترصدونه ٠٠ جواسيس فعلا ٠٠ لكن لا عليه من كل هذا فهو يريد حقيبته ٠٠ حقيبته لا غير ٠ وواصل الصعود قفزا كالتحليق ودلف الى الطائرة ٠ وقف يلتقط أنفاسه ونظر الى مقعده ٠ وتسمر فى جمود ٠٠ فى المقعد المحاذى لمكانه تماما امرأة ! امرأة ملثمة ٠٠ وعاد يتأمل فى ذهول ٠٠ انها ملثمة بعقال « أسود مذهب » ٠٠ عجبا ٠٠ أتحجب المرأة فى هذا القرن « الصاروخى » ٠ واستدار على عقبيه ٠ لعله أخطأ الطائرة ٠٠ وحرك رجليه منتويا الاندفاع نزولا ولكنه عاد يتجمد ٠ كاد يطرح ارضا فى استدارته المباغتة جسما لدنا التصق به ثم تراجع عنه مبهورا ٠٠ كانت المضيفة الحسناء وحملق فيها وفتح فمه يريد صوته صراخا واحتجاجا الا ان ما بدأ فى الصدر انحبس فى الحلق فلم ينبس ٠٠ كانت « ولادة » ، كما سماها ، تبتسم ، وتتسع على جدائلها السوداء هالة ابتسامتها الحانية ٠ ونقل بصره بين عينى المرأة الملثمة وبين الحافظ « ولادة » التاريخ ٠٠ وأحس بالهدوء يسرى الى اعصابه ٠ أغمض عينيه وخدره دوار ٠٠ وتراقصت فى ناظريه المغمضين أقنعة تتساقط وعيون تتسع وملامح تنبلج ٠٠ وفتح بصره من جديد ٠٠ أكان نائما ! شعر بنشاط ما بعد النوم العميق ٠ والتفت حوله ٠ من له مثل هذه « الحقيبة » الجميلة ! وبهت ٠٠ كانت العيون الاخرى حلقة متسعة منبهرة « العجوز » ترسل من عينيها سائلها اللزج وقد اصبح دمعا لا ينقطع والشاب « ذو التقاطيع المطموسة » حالم النظرات سائل اللعاب ، وتزحزح رويدا رويدا حتى انتهى الى مكانه فى

مقعده وارتمى بجوار « الملثمة » لا يستطيع تحويل بصره عن بريق عينيها ·· يكاد يجزم بأن ألحاظها توأم ألحاظ المضيفة · لو تطول سفرته هذه المرة ·· تهدهده نسائم الجدائل السود وتحلمه « الملثمة الحوراء » ولترم به العاصفة انى تشاء ·· لن يخاف العيون ولن ترعبه كذى سابق · وعاد يلتفت حوله · تذكر عينين غريبتين نشأتا من عناق نظرات العجوز وذى التقاطيع المطموسة ·· بحث عنهما ، لكنهما كانتا بلا جسم ولا وجه ·· وفجأة لمح فى ذيل الطائرة المعتم نقطتين حمراوين تتلجلجان وتزوغان ·· وبلا وعى مد يديه ·· وشعر بأصابعه طويلة تتمدد وأغمض عينيه وهو يضغط على النقطتين المتملصتين فى حيرة مخبولة وسمع فرقعة وشعر بمغص ·· وتراجعت اصابعه تبحث عن مكان تمسح فيه ما علق بها من العينين المفقوءتين !··

— « أيحتاج السيد « مجهول » الى شراب مقو ؟ يبدو متعبا ·· »

وولولت الابتسامة على محياه :

— « حرب العصابات منهك يا حلوة ! »

وتطلع الى الملثمة بجواره ·· عجبا ·· كان البرقع ينحسر شيئا فشيئا ·· ونقل بصره بين جدائل « ولادة » السود تحكى سفرات لا تنتهى على طائرة الزمن وبين عينين تترقرقان حورا أخاذا ينزاح عنهما لثام كالعقال واغضى وهو يحس أن لهيبا مقدسا يشرق فى روحه ويستشرى فى أعماقه وهمس حالما ونسائم الجدائل السود تربت عليه وحور عينى اللثام يحتضنه :

أبحث عن هوية

·· بين أفواه مسعورة

·· وبطاقة التعريف عند التاريخ طفرة !

·· والطفرة عدو تناوب ··

·· وزغرد مخاض الحضارة على خط الوصول !··

م· ح· ب·

مساكن 1975/2/17

هواء تشرب الخمر مع ذي القرنين

قصة بقلم : وليد رباح
(فلسطين)

« الى صديقي الشهيد أ٠ط الذى اقترح عنوانا لقصة سوف اكتبها ٠٠ ولم يكن يعلم ان الخنجر غائص فى ظهره حتى النصل ٠ »

النبتـــة :

عب من زمزميته حتى ارتوى ٠٠ ثم التفت الى نبتة ذابلة شقت صخرة فاعطى جذرها بعض القطرات ٠٠ فك رباط حذائه ليحزم بعض فروعها المشعثة ٠٠ حدثته نفسه ان يعينها على الاتكاء فاخرج طلقة من حزامه واسندها كى لا تميل ٠٠ واستل ذراعه وضرب بها الهواء ٠٠ مرتين ثم مضى ٠٠

كانت الريح تجرى عكس اتجاهه ٠٠ دخلت ذرات الرمل الى فمه فاحس بالاختناق ٠٠ سعل بقوة فتمغنط حلقه ٠٠ جرى ٠٠ اسرع اكثر ٠٠ خلفت خطواته سحبا من الغبار ٠٠ احس بالتعب فاسرع ينكش الارض بأظافره كي يصنع حفرة تقيه حر الشمس ٠٠ تقصفت اظافره فاستعاض عنها باصابعه ٠٠ ملأتها الجروح ونزفت منها الدماء واستقرت فوق التراب الاصفر اللماع ٠٠ لف كوفيته حول عنقه جيدا واستسلم للنوم تحت جذور الاشعة القادمة من بطن السماء ٠

الخنجـــر :

أحس بالسيل اللزج يسرى الى فمه فأفاق مذعورا ٠٠ لعق دمه فأحس بملوحة غريبة ٠٠ لم تحمله ساقاه فجثا على قدميه ومد يده نحو الجرح فلم تطله يده٠٠ مد الاخرى فتلوثت بالدماء المنسابة من اعلى الظهر نحو عجيزته٠٠ حاول ان ينهض ٠٠ تطلع حواليه فلم يجد احدا ٠٠ صرخ ٠٠ رددت فروع الشجر صرخته بضحكة ساخرة ٠٠ صرخ ثانية ورمى بنظره نحو السماء فرأى

جموعا من الكواسر تحوم ضمن دائرة تلتقي حول غيمة بيضاء صيفية ٠٠ كان زعيقها يملأ الفضاء ، رمى بحمله الثقيل ٠٠ فك حزامه والقاه فوق الرمل ٠٠ تخلص من زمزميته وبعض فتات الخبز من جعبته ٠٠ رمى كل الجعبة ٠٠ حاول خلع قميصه ٠٠ فك ازراره من كل ناحية فاصطدم القميص بالخنجر ورفض ان يغادر الجسد المدمى ٠٠ صرخ مرة اخرى ٠٠ لم يجب احد ٠٠ رأى اباه يطعنه بسكين حتى النصل٠٠تلفت عله يرى عجلا سمينا أو ما يفتدى به فلم يجد غير الفراغ ٠٠ زمجرت الريح وامتلات عيناه بالرمال ٠٠ احس بيد حانية تلمس جبهته فاستكان ٠٠ وعبر لحظات الالم التى رافقت نزع الخنجر قام على قدميه واعطى ظهره لعواء الذئاب على الهضبة القريبة ومضى ٠

الحصـــار :

دار على عقبيه وحشى جرحه بخرقة فى ثناياها حبيبات التراب ٠٠ حاول ان يعود الى مقره فاعترضته ثلة من رجال الشرطة ٠٠ كان الصديد قد بنى على جرحه كتلا من الاورام الفجة٠٠طلبوا اليه ان يغنى فرفض ، ساقوه مخفورا الى التحقيق ٠٠ وهناك تحول بقدرة قادر الى جاسوس يجمع المعلومات عن الجند ويصدرها الى الجماهير العربية ٠

الرطوبـــة :

تلمست يداه نتوءات الجدار الاسمنتى٠٠طلب جرعة ماء فجاءه الصوت هادرا عبر الجدار ان اشرب من بولك ٠٠ تحسس جسده فراعه ان لا مكان من جلده الا اخترقه جرح او لامسته مكواة ٠٠ قرأ على جدار الزنزانة ٠٠

« خالد بن الوليد مر من هنا ٠٠ كان مسافرا فى رحلة من العراق الى ارض الشام ٠٠ قبضوا عليه بتهمة التوريط واودعوه السجن ٠٠ قال من فرط حرقته ، دخلت مئات المعارك وما فى جسدى شبر الا اصابته ضربة من سيف او طعنة من رمح ٠٠ وها أنذا أموت على الارض العارية كما يموت الجبناء ٠٠ فلا نامت اعين المقاتلين »

« كانت الاسطورة زائفة ٠٠ مات الرجل هنا وليس على فراش بيته ٠٠ زيفتها الشرطة كى لا تحمل على كتفها دمه الذى اخذ شكل الخارطة العربية »

جاءه الصوت ناعما عبر الجدران ٠٠ ثم تحول الى صناجات تخترق فضاء الزنزانة ٠٠ غنوا ٠٠ رقصوا ٠٠ الوطن العربى يرقص اليوم فوق دماء الذين اصبحت عظامهم حفنات من تراب ٠٠ سأل السجان الواقف عند باب الزنزانة ٠٠ ضحك الرجل ولم يجب ٠٠ نفحه سيجارة فامتصها بشغف ٠٠ « هذه لك ٠٠ نحتفل اليوم بعيد السلام »

اخفض رأسه قليلا ٠٠ ثم داس اللفافة بقدمه ولم يكن قد امتص منها غير الرشفات الاولى ٠٠ نظر اليه السجان مبتسما :

مجنون والا لاحتفلت معنا ٠

اسمع سأهمس فى أذنك بعض الكلمات ٠٠ بالامس قال الضابط انك اذا ما احتفلت بعيد النصر معنا فسيطلقون سراحك ٠٠

عض اصبعه بقوة فنزف الجرح القديم دما جديدا لون اخاديد الارض العارية٠

خارج الدائـــــرة :

اعنة الخيل فى المتحف صلبوها ٠٠ جاء الزوار من كل البقاع ٠٠ رصفوا الشوارع بالزهور واستغنوا عن النفط بحجة تصديره للخارج ٠

على مداخل المدن ارتفعت يافطات كتب عليها :

ـ نحن نثق بكل الواثقين من النصر

ـ كل السلطة لعاشقى الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة

ـ المذلة ولا المـوت

ـ (مئة جبان ولا !! ٠٠ الله يرحمه)

عناوين الصحف بارزة كالموت

ـ قبضنا على شبكة جاسوسية ٠٠ نحاول ان نقنعهم بالعمل لصالح السلام والاحتفال معنا بعيد النصر ٠

فوق منصة القضاء شطبت كلمة (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا ٠٠٠)

◆ قائمة بوظائف الدولة ..

- الجيش للمراسم الرسمية
- مطلوب موظف يجيد العربية بلكنة امريكية
- وظائف شاغرة لسفراء من هواة جمع الطوابع .

◆ الشـروط ..

- ان يكون قد حضر الحروب الاربعة ولم يشارك فيها
- يفضل من رأى كيسنجر شخصيا
- ان يكون حاصلا على شهادة تثبت انه ماهر فى الرقص الشرقى

مليحــة :

احبته مليحة حتى خلاياه.. نادته طويلا فلم يجب.. قطعت ثديها وعبأته فى كيس ارسلته اليه .. عاد اليها الكيس مع ملاحظة تفيد بعـدم العثـور على عنوانه .. دارت على كل بيوت الاهل علها تجد من يرشدها اليـه .. نكشت تراب الحديقة كى تصل الى بعض رفاته ان كان قد مات . لم تجد شيئا ..

العـــراء :

آثار القيد لم تزل تحفر على رسغيه وشما اخذ شكل الخارطة الطبيعية .. امتطى صهوة جواده .. دقت السنابك وجه الارض بقوة .. انغرست حوافره فى الرمل وخب فيه طويلا .. الرمل كالقيد يمنـع الحركـة .. رأى بصيص نور ينبع من جوف الارض .. حاول ان يصل اليه .. امتطى الارض ثانيـة وربت على ظهر الحصان .. رأى الدود ينبع من قوائمه بكثافة .

مد يده نحو الضوء .. حاول ان يصل اليه .. ومن جديد .. بدأت الرمال الناعمة تلتهم قدميه .. الاف الايدى كانت تشير اليه ان ينهض من جديد .. حاول ان يتابع .. لكن جسمه اخذ يغوص اكثر .. وتكاثفت سحب الغبار من حوله حتى غدا حبة من رمل يدوسها كل الاقزام .

و. ر.

حب في شوارع الحزن الشهية

شعر : حافظ عليان
(فلسطين)

1 -

ما ينبغى ، لا ينبغى
ويقال تتسع الحروب الأبجدية
وتطول غربتنا ، فنصبح عاشقين
بشوارع الحزن الشهية
تزداد أصوات الحداة ضراوة فى مقطعين :
مرثية الوطن الذى منح المعاطف للاذاعات السخية
فى حالة اللاشىء .. أو حتى مراجيح البقية
بيارة القتلى على شفتيك تحرسها رصاصة بندقية

2 -

ما ينبغى ، لا ينبغى
ولذا أحبك مرتين
وهواى صار حقيبة
من ساحل المنفى أغنى للعتابا والسفر
وأنا تعبت الآن من ظلى
فخلينى ، صليبا فى مدينتكم
وخلينى على البال السعيد
كمثل أغنية ترف
كما النوافذ تحت دالية القمر
قلب الفلسطينى يا شعراء ، سكين على عنق الوتر
قدر الفلسطينى يا شعراء ، راهبة كأن ذنوبها لا تغتفر
وهناك تكتشف البلاد غزاتها
وهناك ينتحر المطر
وهناك قد يتنازل الغيم البعيد عن الطلاسم ، كى نفك قيودنا
ونفك ألسنة الخطابات الحماسية للزغاريد الأخر

وتعود عاشقة ، لآخر عاشق لم ينتحر
يتجادل الشعراء فى رمز القصيدة ، كلما ازدهر الأمل
هذا الشهيد أكان حبلى أم بطل ؟

3 ـ

ما ينبغى ، لا ينبغى
نحتج بالسكين ... نصبح قاتلين
نحتج بالكلمات ... نصبح لاجئين
نحتج بالشهداء ... نصبح ثائرين
لا ينبغى أن يعبر الشهداء للمنفى عراة
يا أيها الوطن المؤقت كالعدالة فى ملفات الجناة
تركوا رسائل للوطن
تركوا صنوبرة
ومرآة
وآخر صيحة فى عالم الموديل عن أحلى كفن
تركوا الزمن
يبكى على سيجارة الكيف التى كنا ندخنها معا
تركوا الزعامات التى لا تحتمل
لو كان فاصلة على سطر الأمل
لتجادل الشعراء حتى الصمت فى رمز القصيدة ، عندما لا ترتجل
هذا الشهيد أكان حبلى أم بطل ؟
وأنا أعيد صياغة الأشعار دلينى ، على رأس
الفضيحة ، يصبح الوادى الجبل
جبل من الشهداء محكومين بالسفح الذى لا يكتمل
لا ينبغى أن يعبر الشهداء للمنفى عراة
يا أيها الشعراء متى ينتهى موال آه
انا نفتش عن إلاه
ليقول للشىء الذى لا ينبغى ، أن ينبغى
إنا نفتش من إلاه

4 -

القدس ، تأتينى الى المقهى ، تهرب لحم شارعها القديم
لتمر عن أعدائها سرا
وعن عشاقها
لتمر عن أسمائها
- فالقدس ليست أورشليم -
القدس تأتينى الى المقهى ، ونشرب قهوة ، وأقدام
الاصحاب ، من منفى لمنفى ، كالخطايا والمنى والمغفرة
- هذا سعيد النور بواب النقابة فى جنوب النيل ،
وهو الآن يكبرنى بعام أو سنة
الحزن فى عينيه ، يكبر كالقيطة والردى والأوسمة
يمضى سعيد النور يبحث فى قواميس اللغة
عن عمره المعروف بالسنوات مثل الأرصفة
- ما عمرك العادى ...؟
عمرى مشنقة
- ما أفضل الاشياء عندك ...؟
زنبقة
- ما أجمل الشرفات فى عينيك ...؟
تحت الأقبية
وسعيد يرسم بالعذاب ، خريطة الوطن المعرض
للندى والأضرحة
وأنا أعانق فيك شباك الرعود وتمتمات الاحتجاج
يا قدس ما قلنا قصائد فى المزاج
ما بعت أرغفة الرفاق بقبلة خلف الزجاج
لكننى أحكى عن القتلى ،
وحزن حبيبتى ،
والمهزلة
ما دام فى القاموس شكل الفاصلة

ح. ع.

الريح حريتي .. من يمنع المرور ؟

شعر : محمود علي السعيد

(حلب)

أرخى غطاء البراءه
الريح حريتي
من يمنع المرور
وفى رحاب دمعتى المضاءه
علامة
آنست فى انتشارها السريع
للقمح والطيور
سكينة وماء
من يشعل العراء فى ابتسامة الطبيعه
بالشمس والسفر
قصيدة سميتها
خلاصة المطر
طيرت من توسمت مجيئها
دقائق المسره
حمامة جسورة
حطت على الاغصان فى حدائق المجره
للحرب فى سريرها استباق
للسلم يا عصية التلويح والعناق
غصنا من الفرح
وقبلة حدودها
الماء والخضراء والمفاجأه
حديقتى مليئة
باليسر والاناقه
أسرارها مفتوحة الجهات والعبير
للطير والانسان
لا فرق بين طلقة جديدة التعبير
وطلقة خيوطها الكآبه
لا فرق بين فحمة وماسه
فى النوع والمسيره
فكلنا سعادة البنادق المطيره
فى دورة حضورها
النصر للسواعد المقاتله
النصر للسواعد المقاتله

م٠ ع٠ س٠

القهـــــر

قصة ، بقلم : زهير غزاوى
(فلسطين)

ـ لا بد ان الله قد تخلى عنا ٠

كل العيون تنظر الى المتكلم ٠ شعر بأهمية ما يقوله ونظر حوله ٠٠ الصمت يلف المكان ٠٠ العيون بحيرة حزن اعماقها مليئة بمئات الاسماك الميتـة ٠٠ حدق المتكلم فيهم ٠٠ رجال ٠٠ نساء ٠٠ طفل ٠

ـ يا أخانا ٠٠ يعنى سقطت المدينه ٠

ـ ان غضب الله كله قد هبط ٠٠ عند البئر شاهدت اثنين من المقاتلين٠٠ كانا كخراف ضائعة ٠٠ طلبت من احدهما بندقية فاعطانى اياها ٠٠ نظرت نحو الوادى ٠٠ كان جنود العدو يتقدمون نحو قلب الحى ٠٠ سددت واطلقت بضع طلقات ٠٠ حتى لم يلتفتوا الى وتابعوا تقدمهم لاحتـلاله ٠٠٠٠ كانـوا يتقدمون ببطء ببطء واحدا واحدا ٠٠٠

شعر ان هناك مصيبة قد حلت ٠٠ ولكنه لا يشعر بأى حزن ٠ لماذا يحزن هؤلاء ٠٠ سقطت المدينة ٠٠هذا ليس مهما ٠٠ سيرحل الى بلاد اخرى بلاد جديدة ٠٠٠ يشاهدها ٠٠ مليئة بالطرائف والناس والالعاب ٠٠ لماذا يحزنون قبل يومين قالت له أمه وهى تسحبه من يده من باب بيتهم نحو هذا المكان٠٠ يا بنى لقد اصبحت شابا عمرك ست سنوات ٠٠ اذا شاهدك الاعداء قتلـوك ولم يفهم شيئا ٠٠ ولم يشعر بالخوف ٠

لا احد يبتسم ٠٠ زملاؤه يلعبون فى الحوش الواسـع المـلىء بالاشجـار ويشعر ان خيوطا غامضة تربطه بجمع الكبار الحزين ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

الدموع تسيل من عيون النساء ٠٠ ولكن عيون الرجـال كانـت جـافة كالرماد ٠٠ القهر يتساقط رذاذا على الوجـوه واللحـى ويتخلـل رمـوش العيون ٠٠ يملأ شقوق اشجار السرو ويتصاعد فى النسغ حتى شفاه براعم نيسان ٠٠ ثم يتفجر متصاعدا بعيدا نحو غيوم رمادية كئيبة تلوح فى السماء٠

ـ ما العمل الآن يا سليم ٠

ـ لا ادرى ٠٠ المدينة مطوقة ٠٠ المنفذ الوحيد هو الميناء ٠٠ ويمكـن ان يكون قد اصبح بيدهم الآن ٠

ـ هل يمكن أن يهاجموا المنطقة المحايدة ٠٠ هنا ٠

ـ لا أظن ٠٠ ولكنهم لا يخافون الله ٠٠ يجب ان نرحل ٠

ـ الحارة الحارة ٠٠ لا بد انها اصبحت معهم ٠٠ لم نحضر شيئا من ثيابنا وفراشنا !

ـ قال لى أحد عملائهم ٠٠ موسى ٠٠ كلكم تعرفونه ـ انهم لا يتحرشون بالنساء والاطفال ـ نرسل النساء الى هناك يحضرن بعض الأثاث ٠٠ ما يستطعن حمله ونحن ننتظرهن على حدود المنطقة المحايده ٠

ونظروا الى النساء ٠٠ القهر يتساقط كتلا خرساء تصطـدم بحجـارة الحديقة ٠٠ وشعروا انهم يغرقون فى مستنقعات الدموع السوداء ٠

ـ الجيوش ٠٠ أين الجيوش ٠٠ يتركون البلاد تضيع ٠

ـ ايه الله أعلم ٠٠ الله أعلم ٠

رجلاه ثقيلتان ٠٠ الحديث لا يعجبه ، يريد ان يتحرك بعيدا ودموع أمـه تغرسه كجذر فى الارض ٠

ـ والله العظيم لقد حاربنا ٠٠ ولكن الذخيرة نفدت ٠٠ لعنة الله عليهـم تركونا وحدنا ٠

ـ لا تقل هذا ٠٠ سيأتون ٠٠ سيأتون ٠٠

ـ سمعت من مصادر موثوقة انهم اصبحوا قريبين جدا ٠٠٠

ـ هيه مصادر موثوقه ٠

ـ بنادقنا اصبحت لا نفع فيها كأعواد الحطب ٠٠ لم ترسل لنا القيـادة ذخيـرة ٠

ـ ولكن القيادة لم يبق عندها ذخيرة ٠٠ من أين نأتى بالرصاص ٠

نقل نظره فيهم ولم يكن احدهم يحمل بندقية ‥ تذكر انه لم ير بندقيته في هذا الحوش الواسع ‥ آه لو كان معي واحدة ‥ اغصان الاشجار تتعانق بصمت وكطائر أبنوسي متعدد الاجنحة كان القهر ينتقل من غصن الى غصن ‥ وصراخه ينسدل ستارة سوداء شفافة تقنع الوجوه ٠

ـ متى نرسل النساء لاحضار الثياب ٠

ـ الاحسن ‥ اليوم بعد الظهر ٠

وتقوقعت كل واحدة كالقلق امام ريح مجنونة ٠

لم يعودوا ينظرون الى نسائهم ‥ البحيرات المالحة السوداء تسحقهم ‥ تبعثر اشلاءهم في الازقة المهجورة الميتة ٠

ـ اسمعوا ‥ اسمعوا ‥ لا زالت المقاومة عنيفة في وسط المدينة ‥ حماهم الله شبابنا ٠

بالنسبة اليه اصوات الرصاص والقنابل لم تعد تثير نفسه في أي شيء هي كضجيج السيارات وصياح الديكة ‥ لا فرق ‥ ولكن ضجيج اليوم يبعث فيه نشوة حزينة ‥ تخيل البنادق ‥ وخطوط الطلقات المتشابكة ٠ يا الله لو كنت كبيرا ‥ ومط شفتيه ٠

ـ لا فائدة من كل هذا ‥ يجب ان نخلي المدينة والا ذبحونا ٠

نظر نحو المتكلم باحتقار ‥ كيف يستطيع ذبحنا أولئك الضعفاء ، انا لا شعر برعشة وفي ذهنه صورة دجاجتهم التي ذبحت في العيد الماضي ، أخافهم ‥ حدث نفسه ٠

ـ نعم ‥ نعم يجب ان نرحل ‥ انهم يغتصبون الاعراض ايضا ٠٠٠

الاعراض ٠٠٠ رددها في ذهنه ٠٠٠ ما معناها ؟٠

أراد أن يسأل ولكنه لم يجرؤ ‥ شهقت احدى النساء ‥ النسوة لا تتكلم ‥ وطائر القهر يسف ناعبا فوق الرؤوس يلامس اطراف الرؤوس ويحوم ‥ ويحوم ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠٠ وتعانقت الاكف ٠٠٠ تصادمت وتدفقت اصواتها كصرير مئات الابواب في بيت مهجور يعبث فيه الريح ٠

المساء يبتسم مع بقايا الضياء على اوراق السنديان ... وتتسع البسمة بعيدا بعيدا باسنان سوداء كتبغ مغشوش ...

ويهبط كل شيء من الاعالى .. وهو يشعر بالغضب والخوف .. والقشعريرة .. فلم يعد احد بعد ... كل شيء يهبط من فوق .. والنجوم تسقط بخطوط حزينة ... حتى ليكاد يسمع صوت احتكاكها بسطح السماء .. ثم بدأ يبكى .

- لم نستطع ان نحضر شيئا .
- لقد رمونا بالرصاص ولولا رحمة الله وستره ...
- لعنة الله على الذى كذب علينا .
- انه موسى ابن عبد اللطيف .
- أين هو الآن لاذبحه بيدى .
- حتى ثيابنا لا نستطيع اخراجها معنا ؟
- يا للسخرية ! هل نأسف الآن على الثياب بعد ما ضاع كل شيء ؟

وعيون الآلاف من البوم المشبعة بالسخرية ترمق ساحة الدار وتبصق القهر على الحصى وتنحنى حتى الاعشاب القميئة المتناثرة هنا وهناك لتنام... وتنام الاغصان والاوراق .

وينكمش الرجال ويتهالكون فى الزوايا ويغطون فى بحيرة لزجة عميقة ليس لها قرار ... وينامون .. ويستمر الضجيج بعيدا ... آلاف الالوان من أصوات الطلقات .. والانفجارات .

والنعاس يبتلعه ويسحبه بعيدا ... فى احلام عن اراض مجهولة تشع بالخضرة وآلاف اللعب والمراجيح والبنادق ...

فى الميناء كان جنود العدو يقفون صفين يحملقون بالشاحنة التى تنقلهم ... عيونهم جامدة خالية من الحياة ... الرجال لا يبكون والنساء يتفجرن دموعا ... وهو يبكى بحقد وقهر لان أمه تبكى .

احتوى المكان كله بنظرة ... البحر والبواخر وطيور النورس السعيدة وأحس بشعور مخيف مفرح ... انه سيعود يوما الى هذا الميناء .

ذ. غ.

الغدر خلف سلاح يرفع الكتبا

شعر : عبد القادر بن شرودة

(تونس)

ثدياك نبعان دفاقان ما نضبا   ضمي المدافع تسقط نارها رطبا
والفجر شال على نهديك منسدل   يا أم عيسى يسح النور واللهبا
لا ترهبي النار ما دامت مقدسة   إن التراب ليزكو كلما التهبا
ضمي البنادق ضمي كل عاصفة   فها قد ارتد للميدان من صلبا
متى رأيت جموع النخل تتبعه   والريح تدفعه والليل مضطربا
فلتفتحي الحضن للايتام إنهمو   عادوا ليرتشفوا من ثديك الغلبا
اليوم يا ملتقى الانصار ما لبست   أم سوادا على طفل اذا نكبا
اليوم ما وضعت أرحام نسوتنا   طفلا ليمرح في أوطانه طربا
وانما وضعت في حضن أمتنا   جيلا يقاتل حتى ينصر العربا
باللغم ، بالحرف ، بالبترول منبجسا   دما تعتق حتى فار ملتهبا
من قلب خالد،من شريان من سقطوا   في القدس في يثرب الغراء في حلبا
قد فاتهم أننا قوم اذا نهضت   بنا العزائم نالت كفنا الشهبا
فاليوم نفزع أشجارا والوية   صخرا، كتائب، ريحا، أبحرا، سحبا
أرسيت يا شعبي الاكوان أزمنة   وحين أغفيت مال الكون وانقلبا
وشتتونا ، أقاموا بيننا حجبا   فانهض ، نهضت ومزق هذه الحجبا
واذكر مواضيك إذ في ذكرها عبر :   الغدر خلف سلاح يرفع الكتبا

تونس في 74/11/16

ع. ش.

وتناثرت على جسمك

شعر : عصام ترشحاني
(فلسطين ـ توشيحا)

ـ 1 ـ

ندخل حقل الماء ..
ندخل وطن الماء ..
تسبقنا الحيرة والحزن ،
ويسبقنا الهم ،
فننأى .. عن عزلتنا
ننأى عن خيبتنا ..
نتوحد ، ونداهم شيئا
يشبه ، أولا يشبه شيئا
ثم نعود بلا اسماء ..
نعود وحقل الماء يدور ،
ووطن الماء يدور ،
نصير دوائر ،
يجذبها القلب الواحد ،
والجسم الواحد ،
ـ نغدو والماء ظلالا متشابهه ـ
نركض فى شهوتنا نحو المطلق ،
يفجؤنا ما بين الافق ،
وبين العصب ،
المطر النارى ، البارود ، الموت ،
فيسكت نبض الماء ، وصوت الماء ،
وفرح الماء ..
يصير الماء رمادا ، وترابا قفرا ،
ذاكرة أجهدها القصف... فسقطت
مدنا من غير نوافذ ، من غير شوارع ،
مدنا لا تعرف زمنا أو تاريخا
لا تعرف أن الارض المأخوذة ،
بالفزع الدموى ، اللهب الدموى ،
انخطفت ، ثم انخطفت ،
وترهل فيها ..
قمر الحلم ..
وقمر القلب
وقمر الوقت ...

ـ 2 ـ

الماء يحاول ان يتنفس ،
الماء يحاول ان يتحرك ،
يهتز الشجر الساكت ،
يهتز ، فيمسك بالظل الساكت ..
ترتعش الاوجه ،
ترتعش الايدى ،
تسرى الرعشة فى اعضاء الارض ..
نطير اليها ...
مسكونين بفرح غامر ،
مسكونين بصيف ،
وربيع وشتاء ..
تصطدم الارض بنا ..
نحتك بها ..
نحتك فتهرع آلهة البرق الينا ..
تهرع بالشرر النديان ،

وبالموسيقى ...
ينتفض الشجر الواقف ،
ينتفض الظل الواقف ..
ينتفض الماء ..
– كشمس خرجت من معتقل الدم –
ويغشى وجهك ،
يجرح وجهك ،
يا قابض هذى الارض علينا ..

– 3 –

ها نحن .. أنا
أتقادم فى أملاك الضوء
فيأتى الضوء الى عميقا
يأتى الضوء الى شحيحا
أمسك ما يهرب منه ..
وأدخل طقس الثورة ،
مكتنزا بالرغبة ،
أدخل فصل الخضرة ،
مفتونا ببراءته ..
أتصادم والظل مع الصدفة ،
أترك للظل مكانى
يسبقنى الوسواس الخناس الى المرمى
أو ما يدعى مرمى اللهب الاخضر ..
ترتعد الغابات ، الاقمار ، المدن ،
الامواج ، وتبدأ هجرتها
نحو سماء أخرى
تبدأ باسم ملائكة الدم .. القصف ،
فأحمل امتعتى.. وأغادر نحوك يا..
راهبة الدم ...

– 4 –

الآن على أبوابك يا ..
راهبة الدم أصلى ..
الآن أظلل صوتى
أوصلنى .. هاجس ما قبل الحلم
ولم أخسر ..
غير الغربة والاحزان وصوت القهر البلدى
أوصلنى هاجس ما
بعد الحلم اليك ..
فاستمعى ...
هذى موسيقى اللهب تغنى
هذى جوقات الدم تغنى
استمعى ..
خرجت مخلوقاتى دون بكاء
خرجت هذى المرة ..
تحزم أمتعة الشهداء ...

– تنويع خاص –

وتريثت قليلا ..
قبل ان تمسك بالحلم وبالدفء يداى
وأعرت الارض وجهى
وأعرت الماء صوتى
وتناثرت على جسمك أحميه
من العين ومن جوع هواى
لم يطاوعنى اشتهائى
أن أرى صوتى فى الظل يغنى
وأرى حبك ، يغزوه سواى
فاجمعينى ..
يصبح الماء حريقا
يهرب الموت من الاسر الينا
يهرب الاسر من الموت الينا ..
وحنونا ..
يقبل البرق على
وقع خطاك .. وخطاى ..

1974/2/15
ع. ت.

مسرحية في فصل واحد

ثرثرة على هامش العبث

بقلم : صلاح الدين بوجاه
(تونس)

الاهـداء : الى نـ ٠٠٠ مم ٠٠٠

[الشارع الرئيسي فى مدينة عربية عتيقـة ٠ بعيد المغـرب ٠ اكتظـاظ نسبى ٠ ثلاثة فتيان يتجولون فى بطء جيئة وذهابا ٠ الانارة فى المسرح متقطعة دقيقة مضيئة وأخرى مظلمة ٠]

ـ علينا أن نحدد أهدافنا بوضوح
ـ وما جدوى ذلك ؟
ـ يجب أن نكشف القضية أولا ٠٠ انها مسألة حياة أو موت ٠٠
ـ وما الفرق بين أن نحيا أو نموت يا ترى ؟
ـ بعضهم يعتقد أن مشكلة الشاب الاولى توجد بين فخذيه
ـ والبعض الآخر يعتقد أن فخذى الشاب يوجدان بين مشاكله ٠٠
ـ عبث لسانيكما يعود اليكما
ـ يا لك من أبله ٠٠ أيمكن أن ينتصر الفلسطينيون ؟!
ـ أيمكن أن يكون الله موجودا ؟
ـ يجب أن نكون سعداء على الرغم من كل شيء
ـ ما هو مفهوم السعادة لديك ؟
ـ السعادة هى أن نعمل من أجل إدراك السعادة
ـ أبى يعتقد ان المرأة عورة
ـ أبوك فسقية خمر لا تمتلىء
ـ أختى تعتقد أن الحضارة الانسانية قد انبثقت من بين فخذيها
ـ ليتنى أسد منبع الحضارة لديها حتى يقف الزمن
ـ مالنا وللزمن ٠٠ إننا أقوى منه ٠٠
ـ إن فى الانعدام لانتصارا على الزمن
ـ متى يحس العالم بوجودنا ؟
ـ متى نحس نحن بذلك ؟

ــ هل اتفقتما مع ابنة الامام ؟
ــ قالت انها ستوافينا الى هذا المكان بعد العشاء
ــ وهل أصبحت تصلى حتى تحدد مواعيدها بعد العشاء ؟ !
ــ أبوها لا يبيح لها الخروج الا اذا ما عاد من المسجد ..
ــ علينا أن نبحث عن غيرها ..
ــ ماذا ستفعل غدا ؟
ــ قل : ماذا سيفعل بنا غدا ؟
ــ إننا لا نحيا
ــ كلا .. إننا نحيا على الرغم منا
ــ آه .. لو أخذ رأينا
ــ آه ...
ــ آه ...
ــ كنا نختار مكانا آخر على اقل تقدير
ــ أوجدنا لكى نعيش على التسول ؟
ــ نحن نتسول حتى الهواء الذى نتنفسه
ــ ونتسول مشاعرنا وأحاسيسنا أيضا .. لقد صرنا مزيفين
ــ الاذاعات تؤكد اننا بتنا من الازدهار والتقدم على قاب قوسين أو أدنى
ــ أوصرنا من القوس على قاب ازدهارين أو أدنى
ــ تلك آمال (اللاوعى) يرددها اللسان تهدئة للعذاب
ــ لولا تلك الأقاويل لاندثرنا
ــ إنها « أسبرين » نفوسنا
ــ لكن النهاية آتية لا ريب فيها
ــ فى النهاية نكون قد انتهينا
ــ إنه القرن العشرون .. عصر المعجزات
ــ إنه القرن العشرون .. عصر الحيرةوالغثيان والموت ..
ــ لا أحد يريد أن يفهمنا
ــ إننا لا نفهم أنفسنا أيضا

ـ ماذا تريد أنت بالضبط ؟ (مثلا)

ـ ليست لى القدرة على معرفة ذلك

ـ كل واشرب ٠٠ وقم بما يقدم اليك من عمل ٠٠ وتجول ٠٠ وضاجع بنات الائمة ٠٠ ثم ٠٠ ثم ترقب ٠٠

ـ لم أعد أؤمن بشىء

ـ وهل كنت تؤمن بأى شىء ؟!

ـ بلى ٠٠ كنت أؤمن بألا ايمان لى

ـ لسنا إلا كرات صغيرة بين أرجل (أطفال) الصدفة والعبث

ـ الكرة أفضل منا بكثير ٠٠ ان لديها دورا تقوم به ٠٠ وقد تكون مؤمنة بــه ٠٠

ـ ولدينا دورنا أيضا ٠٠ لكننا لا نؤمن به ٠٠ تلك هى القضية ٠٠

ـ ما هو دورنا ؟ (يا ترى)

ـ نحن حجارة يرتفع عليها آخرون الى القمة

ـ لكن هل تعتقد أن ما يبلغونه هو القمة الحقيقية بل هل توجد قمة حقيقية ٠٠ بل هل توجد حقيقة بالمرة ؟!

ـ إنهم يدركون شيئا ما بواسطتنا على أية حال ٠٠

ـ دورنا أهم من دورهم كثيرا ٠٠ اذ لولانا لكانوا بلا حول ولا قوة ٠٠ لولانا لما استطاعوا تسلق متر واحد ٠٠

ـ حيلة (نفسية) تنشد من ورائها تسكين آلامك ٠

ـ قد يكون ٠٠ انى صرت دائم الشك فى آرائى وأحاسيسى

ـ بى رغبة شديدة فى البكاء

ـ لن يجدينا ذلك نفعا

ـ قد ينسينا البكاء آلامنا

ـ وقد يزيدها حدة ويوقظ شعورنا بها

ـ لو كنت أومن بالله مثل أبى ٠٠ أو بالوطن مثل الفدائيين الفلسطينيين ٠٠ أو بالحب مثل أختى على الاقل ٠٠

ـ ليسوا أفضل منا على أية حال

ـ إنهم غير واعين بحقارتهم وبعبثية الوجود من حولهم على الاقل ٠٠ إن فى الغباء لراحة وان فى الجنون لخلاصا ٠٠

ـ لماذا لا نصطنع الايمان بشىء ما ٠٠ ؟ بأنفسنا مثلا ٠٠

ـ لن يخرج عن كونه ايمانا مصطنعا ٠٠ وستبقى الحقيقة حمراء (تتلظى) تصفع وجوهنا صباحا ومساء ٠٠

ـ الآخرون لا يؤمنون بنا ونحن لا نؤمن بأنفسنا ٠٠ والحيـرة والغثيـان يملآن علينا دروبنا ٠٠ ليس أمامنا الا الموت بلا ريب ٠

ـ مشكلتنا اننا لسنا أغبياء بدرجة تمكننا من قبـول العبث الذى يمـلأ الدروب من حولنا

ـ علينا أن نقبل كل شىء ونرضى به والا قضينا على انفسنا ٠

ـ أنت تعلم (مثلى) اننا غير قادرين على ذلك

ـ علينا أن ننتصر اذن

ـ ولا على هذا ايضا ٠٠

ـ زوارق ضالة يتقاذفها الموج فى غضب

ـ ليس لك حق تشبيهنا بالزوارق ٠٠ انها مثل الكرة ٠٠ ومثل كل شىء ٠ هى تصلح للقيام بدور ما ٠٠ أما نحن فلا نصلح لأى شىء ٠٠

ـ نحن لا شىء اذن

ـ ولسنا « لا شىء » أيضا ٠٠ ان أى لقب تطلقه علينا يجعل لنا قيمة ما ٠٠ بينما نحن لا قيمة لنا البتة ٠

ـ لقد عاودتنى الرغبة فى البكاء

ـ وانا ايضا

ـ وانا ايضا

[ينفجرون فى بكاء وعويل شديدين فلا يأبه بهم وأحد من المارة فى حين تدنو منهم فتاة « عشرينية » ذات مينيجيب ٠ فتقـف بينهـم مقهقهـة فى شبه جنون ٠٠ فيتوقفون عن البكاء ويقولون فى صوت واحد :]

ـ آه ٠٠ عفوا ٠٠ كنا نبكى فلم ننتبه لوجودك بيننا

[فتكف عن الضحك وتنطلق باكية وتقول :]

ـ تركت أبى باكيا أيضا ٠٠ إنه يعتقد ان الله سلط علينا ما نحن فيه من عذاب لغضبه من اعمالنا الدنيئة ٠٠ وطلب منى متضرعا ألا أوافيكم الى موعدنا هنا ٠٠

[فعقبوا متسائلين :]

ـ وهل نستطيع أن نقوم حتى بالاعمال الدنيئة ؟ ٠٠ اننا لا نستطيع ان نفعل أى شىء ٠٠ اننا مجبرون على ان نحيا ٠٠ وبالتالى نحن مجبرون على أفعالنا خبيثها وساميها ٠٠ ولماذا الفروق ؟٠٠ إنه لا فرق بين فعل وفعل ٠٠

ـ وأبى يعتقد اننا لو أخلصنا لخالقنا لنصرنا على (اليهود) الظالمين (فى فلسطين الحبيبة)

ـ فلسطين ٠٠! فلسطين ٠٠!

ـ أف من فلسطين ٠٠

[انقض الفتيان على الفتاة يجردونها من ثيابها حتى بدت عارية تماما مقهقهة فى هستيرية لم يلتفت اليهم أى أحد من المارة ٠ تجردوا من ثيابهم هم أيضا ثم جعلوها كومة أشعلوا فيها نارا بترولية حادة انطلقت نحو السماء ٠ ثم رفعوا الفتاة عاليا واخذوا يدورون بها حول النار صائحين :]

ـ الله والجنس وفلسطين ٠٠ عقد عرب القرن العشرين ٠ عقد عرب القرن العشرين ٠٠ الله والجنس وفلسطين

السبيخة فى 9 سبتمبر 1974

ص٠ د٠ ب٠

عزف منفرد على الكفن

شعر : محمد الهادى بوقرة

(تونس)

ـ 1 ـ مذكرة مقاتل

قطعوا ساقى ٠٠ وعلى الساق الاخرى قمت أمشى
ورجعت إليك
قطعوا الساقين ٠٠ وسرت على رمشى
ورجعت إليك
قتلونى ٠٠ أبحرت على نعشى
وعبرت دمى ٠٠ ورجعت إليك
لم يفهم جلادى
أن حريتى طائر وحشى
لا يغنى إلا معى ٠٠ فى بلادى
حين يهنأ فى أرضها عيشى

ـ 2 ـ عرفات ٠٠ يقول

ـين لم يبق فى أسواق العالم
ـتر واحد من قماش أبيض
رهن العالم
دمه عند الموتى
وتنازلت عن كفنى

كى نبقيه علما أبيض
مرفوعا على العالم
وعلى وطنى

ـ 3 ـ مرثية الحزن القديم

وطنى
وطنى ما عاد بعيدا
فلقد أشرعت له كفنى
يا حسرة كل الأعداء عليك .. أيا شجنى
لن ترى وطنى
لن ترى كرمه ونخيله
لن ترى أجمل المدن
فلقد مت .. ولم تكمل
رحلة السندباد الطويله
يا حسرة كل الأعداء عليك .. أيا شجنى

م. هـ. ب.
16 ـ 11 ـ 74
ـ تونس ـ

مسرحية فى فصل واحد

الطبيب سيحضر من الشارع المغلق

بقلم : سليمان عبد المنعم
(فلسطين)

المكان : الارض المحتلة فلسطين
الزمان : زمان الرعب والدم
المنظر : بيت فلسطينى فقير فى وسط المسرح باب يؤدى الى غرفة وعلى يسار المسرح باب خارجى اثاث البيت عادى جدا وشعبى جدا يمكن تزيين الجدران بآيات قرآنية ومطرزات فلكلورية فلسطينية او ما هو قريب منها .

الاشخـــاص :
الأم : أم محمد (امرأة عجوز)
فاطمة : زوجة ابنها
محمد : ولدها وزوج فاطمة
القابلة : امرأة مسنة
جندى 1
صهيونيان
جندى 2
الطبيب : شاب ثورى
اشخاص من الجمهور فى الصالة

(تدخل الأم من الباب الخارجى) .

الأم : فاطمة .. فاطمة ..

فاطمة : (من داخل الغرفة) نعم يا خالة أنا قادمة ..

الأم : تعالى يا بنيتى كى أطمئن عليك (تتجه بحديثها الى الجمهور) الفزع حتى فى النوم نطلب الراحة فلا نجدها لا فى النوم ولا فى الصحو .

فاطمة : (تظهر من باب الغرفة ـ وهى شابة حامل فى شهرها التاسع تسير بتثاقل والتعب يخالط وجهها وحديثها) خير ان شاء الله ، تحدثين نفسك .؟

الأم : (تلتفت الى فاطمة) الحمد لله انت بخير (تتلمسها) والله بدنى لا يزال يهتز وقلبى يخفق مثل الطير المذبوح من المنامات المخيفة التى رأيتها الليلة ...

فاطمة : خير ان شاء الله .. تفضلى قولى .

الأم : الحمد لله انت بخير والله يهون عليك. يكفى يا بنتى رعب اليهود لا بد لك من الراحة « يا الله تشاطرى وجيبلنا ولد » .

فاطمة : بطيخة مقفولة ما بيعرف سرها الا ربها ، ولد بنت المهم السلامة . آه يا خالة ! الاطفال يولدون والعذاب موزع عليهم بالتساوى الموت موزع حتى الاعتقالات موزعة عليهم .

الأم : خليها لله يا بنتى عمرنا كله ملون بالدم والحزن ومزنر بالنار والبارود. على كل حال الداية (القابلة) تنصح الحوامل دائما بالمشى .

فاطمة : فى أى شارع أمشى وفى أى الاوقات ؟ يا خالتى كل الشوارع اماكن للاعتقالات وكل الاوقات مباح فيها منع التجول ، تصورى ان اعتقل وانا فى الشهر التاسع أو ألد وانا فى المعتقل (تتألم وتتحسس بطنها) .

الأم : هل تشعرين بشىء ؟

فاطمة : بآلام شديدة منذ الصباح .

الأم : على كل حال سأذهب الى السوق وأمر على الداية (أم زكية) فان وجدتها أحضرتها معى .. وان كانت مشغولة سوف أضع لها خبرا كى تحضر من حين عودتها .

فاطمة : لا تتأخرى يا خالة .. مع السلامة .

الأم : تشجعى يا فاطمة سأحضر حالا .. كل هذه الآلام بسبب الولادة الاولى (تخرج الأم وتبقى فاطمة وحيدة تتألم وتتحامل على نفسها بالتنقل فى ارجاء المنزل وتساؤلات كثيرة تخالط الألم فى وجهها ، يقرع الباب ، تجفل فاطمة وتصرخ) .

فاطمة : من .....؟

محمد : (من الخارج) انا محمد افتحى .....

فاطمة : (وهى تتجه صوب الباب) ما الخبر لقد عاد باكرا من العمل (تفتح الباب) .

محمد : السلام عليكم .

فاطمة : وعليكم السلام خير ان شاء الله .... عدت مبكرا .

محمد : وهل اترك العمل على مزاجي يا امرأة اما عدت تعرفين بعد تكرار هذه الامور مئات المرات ٠٠٠٠ اما أنه لا يوجد عمل أو أننا نطرد من العمل ٠٠٠٠ او نساق بالسوط الى مزارعهم ٠

فاطمة : واليوم ٠٠٠٠

محمد : لا يوجد عمل ٠٠٠٠ فضرب طوق حول ساحة العمال كي نساق الى مزارعهم ففررت عن الطوق وفر كثيرون معي ٠٠٠

فاطمة : عربي ٠٠٠٠ يعني عبد ؛ هكذا تقول توراتهم لا بد من اذلاله وسحله ومعاملته معاملة الحيوان ٠

محمد : لا بد من عمل شيء ٠٠٠ يجب ان نتحرك الهروب من الطوق ومن المزرعة لا يكفي ٠٠٠٠ يجب ان نقابل الدم بالدم ٠

فاطمة : أتنوي دمار الجميع ٠

محمد : بل أريد الحياة للجميع في مثل هذا الوضع لا تشرق الشمس الا حمراء تبسم لنبض الحرية ٠٠٠ أريد الحرية ٠٠٠ أريد الحرية ٠٠٠

فاطمة : اني أتألم ٠٠ اني أتألم ٠٠

محمد : (وكأنه لا يسمعها) لا بد من آلام المخاض لا بد ان تسبق الولادة آلام ودماء ٠٠

فاطمة : (تتألم بشدة وتكاد تسقط على الارض) ٠

محمد اسرع (بصوت أعلى) محمد سوف أقع لا أستطيع ٠

محمد : (يسندها) ما بك يا فاطمة ٠

فاطمة : آلام شديدة أكاد أغرق ٠٠ آخ ٠٠ أدخلني الى الفراش وأحضر « الداية » اني أموت ٠٠ اني أموت ٠

محمد : أنا بقربك يا فاطمة ٠٠ هيا الى الفراش ٠٠ وسأعود حالا ٠٠

فاطمة : لا تتركني وحدي أرجوك ٠٠ أرجوك ٠

محمد : كيف تحضر « الداية » اذا لم اذهب لاحضارها ٠

فاطمة : اطلب المساعدة من الجيران ٠٠ أو قد تصل أمك قالت انها لن تتأخر ٠

محمد : ادخلي الآن الى الفراش وما عليك ٠

فاطمة : (وقد وصلا الى باب الغرفة) ارجوك لا تتركني ٠٠ كفى عذابا لا أريد أن أموت وحيدة (تدخل فاطمة الغرفة) ٠

محمد : (يعود الى وسط المسرح) هل اذهب ام ابقى بجانبها (يسمع صراخ من الغرفة) ٠
بقائى لا يفيد سوف اندم ان لم افعل شيئا (يزداد الصراخ) لا أستطيع الانتظار ٠ ولم يحضر احد ٠٠ لا استطيع الانتظار ٠٠ لا ٠
(يسرع الى الباب الخارجى وقبل وصوله يقرع الباب فيفتح دون ان يسأل ، تدخل الأم والقابلة) ٠

الأم : (تلاحظ اضطراب ولدها) ماذا حدث أين فاطمة ٠

محمد : يشير الى الغرفة (يسمع صراخ) ٠

القابلة : وصلنا فى الوقت المناسب ٠

الأم : توكلى على الله (تدخل المرأتان يسرع محمد بالدخول خلفهما فيغلق الباب فى وجهه) ٠

محمد : (يجلس مضطربا ، يقف مضطربا ، يتحرك مضطربا فى كل الاتجاهات) يا رب ٠٠ يا رب ٠٠
(تخرج الام تأخذ بعض الحاجيات دون ان تتكلم) ٠

محمد : (يسرع خلفها متسائلا فلا يجد جوابا ٠٠ يصرخ)
ماذا يحدث انى لا اسمع صراخا ٠٠ (يعود الى وسط المسرح) ٠
(يدفع الباب الخارجى بشدة وعنف ويندفع منه جنديان صهيونيان يشهران سلاحهما ٠٠ يرتعد محمد للمفاجأة ويتراجع للخلف الجنديان يتقدمان) ٠

محمد : ماذا تريد ان ٠٠٠ فى بيتى لا يوجد شىء ٠٠

الجندى 1 : « لازم نفتش » ٠

محمد : عن أى شىء ٠

الجندى 1 : عن أى شىء ٠٠ عن كل شىء (يدفع محمد جانبا ويشير الى الجندى الثانى آمرا بالتفتيش ٠ يقلب كل قطع الاثاث الى ان يصل للباب المغلق يسرع محمد ويقف امامه ٠٠ ويصرخ فى وجهه) ٠٠

محمد : لا يمكن الدخول هنا ٠

الجندى 2 : لماذا (يحاول دفعه) ٠

محمد : هنا ٠ ز ٠٠ ز ٠٠ زوجتى تلد ٠

الجندى 1 : كذبة قديمة ٠٠ ابتعد عن الباب والا اطلقت النار ٠

محمد : لا يمكن زوجتى تلد ٠٠ وعملكم هذا يخالف القانون ٠

الجندى 1 : نحن نضع القوانين ونحن نخالفها .
(يدفع محمد عن الباب بقوة ويدفع الباب برجله فى الوقت الذى تخرج فيه القابلة مشمرة عن ساعديها) .

القابلة : (تفاجأ) ماذا تريد ..؟

الجندى 2 : تفتيش .

القابلة : لا يوجد فى هذه الغرفة سوى امرأة تعسرت ولادتها .

الجندى 1 : (باصرار) « لازم تفتيش » .

القابلة : شعب لا يفهم الا لغة العناد والدم (تتجه بصوتها الى داخل الغرفة) يا أم محمد « غط البنت حتى يفتش » .
(يدخل الجندى 2 وبعد لحظة يعود ، محمد يغطى وجهه بيديه والبندقية مصوبة اليه) .

الجندى 2 : امرأة تلد ...

الجندى 1 : ولد عربى سيأتى الى الدنيا .. مشكلة جديدة لاسرائيل ..

القابلة : اسمع يا محمد .. زوجتك فى خطر لا بد من نقلها الى المستشفى او احضار طبيب .

محمد : سأحضر طبيبا حالا ..

الجندى 1 : ممنوع كل واحد فى بيته حتى الصباح .

محمد : الا تسمع انها فى خطر .

الجندى 1 : ممنوع التجول .. أوامر مشددة مفهوم .. كل من يسير فى الشارع سيموت (يشير الى الجندى الثانى بالخروج . يخرجان) .

محمد : ماذا أفعل .. قولى يا حاجة ماذا أفعل .. افعلى أى شىء .. افعلى .

القابلة : فعلت كل ما اعرف فى هذه المهنة ، الخطر على زوجتك وعلى الجنين .
(يسمع صراخ فى الداخل والقابلة تهرول الى الغرفة) .

محمد : (لا يدرى ماذا يفعل ، يحدث نفسه) زوجتى بحاجة الى طبيب ، ولدى سيموت والشارع مغلق .. ماذا أفعل (يتجه بحديثه الى جمهور المشاهدين) انتم ايها الجالسون ماذا أفعل .

أحد الحضور : اتصل بالهاتف .

محمد : بالهاتف - يدور على نفسه - نحن فقراء لا نملك هاتفا ، آه .. نسيتم اننا فى اسرائيل فى هذه الظروف تقطع خطوط الهواتف .

شخص آخر : لماذا لم تنقلها الى المستشفى من قبل ٠

شخص ثالث : لماذا احضرت قابلة شعبية لا تعرف شيئا عن الطب ٠

محمد : انا ولدت على يديها (يفرك يديه يدق الارض بقدمه) ماذا أفعل ليس الآن وقت اللوم ٠٠ ماذا أفعل انها تلد ٠

شخص رابع : الولادة تحتاج لتضحية ٠

القابلة : (تفتح الباب وتخرج) محمد (يلبى محمد نداءها مسرعا) اسمع يا ولدى لم يعد امامي اى حل ، تريد الأم أم الولد ، لا بد من التضحية بأحدهما ٠

محمد : (يصرخ) يا الله أريد الاثنين (يدور حول نفسه) انها تضحية صعبة ٠٠ أريد الاثنين ٠

أصوات من الجمهور : لا بد من التضحية ٠٠ غيرك ضحى ٠٠ ضح ٠٠ ضح أنت ٠

محمد : نعم أريد الاثنين ، سأضحى (يدور حول نفسه) الولادة تحتاج الى تضحية ، يا حاجة اى طبيب سيحضر فى هذا الوقت ٠

القابلة : الدكتور فؤاد ابن أبو خليل ابن الحارة انه بالتأكيد سيحضر معك (القابلة تعود الى الغرفة) ٠

محمد : (يتجه بحديثه الى الجمهور) سيحضر الطبيب ، سيحضر من الشارع المغلق (يتجه الى الباب وهو يصيح) سيحضر ، أريد الاثنين ، سيحضر ٠

« يترك المسرح فترة بعدها يسمع صوت الرصاص فى الخارج مع دخول الطبيب منهكا الى البيت » ٠

الطبيب : (بصوت مرتفع) أين أنتم ٠

القابلة : (تطل برأسها من الغرفة) تفضل الى هنا يا دكتور فؤاد ، الى هنا يا ولدى ٠

(يدخل الطبيب الغرفة بعد لحظة يسمع صوت الطفل) ٠

القابلة : محمد ٠٠ محمد ٠٠ ولد ٠٠ ولد ٠٠ (وتزغرد) ٠

(يتبعها الطبيب) ٠

الطبيب : يا حاجة محمد قضى فداء للمولود ٠

(تعزف موسيقى وطنية) ٠

« ستـــار »

س٠ ع٠

عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

لما خرج الحى من الميت

شعر : على الخليل

لما مات الحطاب وعذبنا شبح القتل ، رأيت سلالمنا تحت النقع ،
أصابعنا تهتز من الطعنة ، فالطعنة ، والدم يرقاها ٠٠
والكتب ، الالوان ، الشهبات ، الاسماء ٠٠٠
ناديت ٠٠
علقت جراحى جرسا ،
لما مات الحطاب ، وصدعنى الهاجس ،
واعدنى أهل البيت ،
وعانقت الدرجات الحمراء ، وأسلحة القتلى ، والوطن الغائب ،
الوطن الحاضر ، الوطن المزروع ، المحصود على صدرى ،
العنق المقطوع ٠٠٠ النار ، الحرب ٠٠٠
أنا ٠٠٠ دلال السلم ، الحكم ، الخصم ٠٠٠ التهمة ٠٠ !
شفة فى القيد ، وعصفور فى القفص ،
وباب يصفق ، يصفق ٠٠٠ دونى
حب ممنوع ،
شعر ممنوع ٠٠٠
وطن ٠٠٠ وطن ممنوع ٠٠٠ !
٠٠٠ مارست طقوس الصحو ، الأغماء ،
قرأت الكتب ، الالوان ، الشهبات ، الأسماء ٠٠٠
دثرت الاسئلة الصعبة فى جلدى ٠٠٠
واعدنى أهل البيت ٠٠
ـ يا صاحب !ـ
لا تقطع شجرة ،

لا تقتل شيخا أو طفلا ،
لا تغتصب امرأة ،
... طحنونا كالرمل ، وباتوا تحت بطون النسوة ...!
- يا صاحب !
لم نقطع أو نقتل ...
ماذا نفعل !؟ ماذا نفعل !؟
عيناى على وشم المعشوق ، وفى ظمئى كل الصحراء ،
كثبان الرمل تصيح وتسكن آبار النفط وأقبية المدن العصرية ،
تسرق وشم العاشق والمعشوق !
أحبك يا بلدى الطيب .. زنبقة برية
ورغيفا ... والفقراء ملايين ...!
كيف أعانق فيك الجسد المحروق ،
الوطن الغائب ، الوطن المسروق ...
... نكذب حتى نكشف عصر الدهشة فينا ،
قالوا نلعب بالجرح وننسى ،
كالقش ، العصف المأكول ، الكلمات المألوفة
تحترق الأسماء
لما خرج الحى من الميت ،
وحاصرنى ليل الشبهات ،
لم أنفض كفى فى الماء البارد ،
... إنى أصحو فى الصورة والظل ،
وأكتب تاريخ الاشياء ...

ع. خ.
فلسطين

لن أعود .. لو أعود !

شعر : أبو وجدان الصادق شرف
ـ تونس ـ

**قصة طيار وقع فى الأسر ... جاء من مدينة الضباب
حالما بالنعيم .. فاذا هو سراب وجحيم !**

* * *

كنت أعيش كالضباب فى مدينة الضباب ..
ومسكنى .. تسكنه الشمس على كف السحاب !
مكيف الهواء قد حررنى حتى من الثياب !
وذات يوم .. قام بى أبى لأرض الانتداب ..
ولم يزل يوهمنى بأنها أرض المآب .
فجئتها أحلم بالنعيم فيها بالشباب ..
وا خيبتى .. أين النعيم فى بوتقة العذاب ؟!

* * *

هناك كان والدى متاجرا حتى فى الاغتيال ..
لما يزل له عن « كندى » الجواب والسؤال !؟
واغتال أمى عندما قالت له : دعوا المحال !
وكنت مثله أنا متاجرا فى كل شىء لا جدال !
تاجرت فى المبادى ..
تاجرت فى النوادى ..
تاجرت فى التجار والرجال ..
لكن أختى جاوزتنى فى تجارة الجمال ..
واخيبتى .. أين تجارتى والسوق ههنا وبال فى وبال

* * *

وكنت لا أعرف طعم الرعب .. لا أجوع ..
لا أطفىء النور .. ولا أرى تفاهة الشموع ..
تبكى الشموع ما لها ؟ إنى لأولى بالدموع !
دمعى على ما ضاع من يدى .. على تلك الربوع ..
فلا تقل لى : كافر ! إن قلت أهفو للرجوع !

فهل من الكفر إذا حنت إلى الأصل الفروع !؟
واخيبتى ·· كيف الحياة والفناء ههنا بنا ولوع ؟!

* * *

هل أستطيع العيش فى دوامة الردى المقيت ·؟
دعنى أعد
لو أعود
فلن أعود للجحيم ما حييت !
أهل الجحيم دافعوا عنه دفاع المستميت ··
هم عرب والثأر فيهم لن يموت ··
لن يموت ما بقيت ·!
إن لم أمت بنارهم ··
بركان حقدهم وثارهم ··
يميتنى يميت ··
يحبسنى فى البيت ··
فى البيت كم أبقى ؟! وربها فى خيمة يبيت ··
واخيبتى ·! فكل رملة رصاصة بها رميت ·

* * *

أبى ·· أبى الذى اغتال كثيرا من مدينة الوجود
وخاط من لحوم الأبرياء نجمة لراية حقود ··
أبى ·· ونجمة داوود ··
تغتاله الارض التى ليس لنا فيها خلود
من قال : إننا لنا فيها جدود ؟
من قال : إننا ··؟
هل نحن من هنا ؟
واليوم ها أنا ···
أنا جريح قابع تحت القيود ··
صهيون يا عدو العرب والسلام واليهود ··
لو أننى أعود ···
لو أننى تعود لى مدينة الضباب ! لن أعود !
ولن أعود ·· لو أعود ···لا ولن أعود !

ا· ص· ش·

فى 28 _ 10 _ 1973

مطالعات

افتراضات مضيئة على ديوان «افتراضات مضيئة»

شعر : محمود على السعيد

تعليق : عبد الاله يحيى

اننى أشعر بالواقع عندما تشدنى اليه قوة مصيرية أو تنقلنى وأنا خارجه فى الظل ريشة تصويرية بارعة ، فأنا حينها ألمس المأساة والحقيقة ، أو فانى ساقط فى الذات والمغلق والغيبوبة ٠

إن هذا الفصام الشعورى ان شئت أن تسميه كونيا من حيث التعميم والشمولية أو إنسانيا من حيث التخصيص يندرج على المجموعة البشرية فى مسيرتها المعقدة عبر الزمن حتى تتدخل فى هذه المسيرة القوة المصيرية القاهرة أو الريشة التصويرية الناقلة البارعة ، فعندها يحدث الانفجار والتغيير بالثورة ٠ وهكذا دللت الريشة الفنية المبدعة عبر الزمن على الثورة بنقلها جمهورا فى فترة زمنية ما من حالة الغيبوبة الفصامية الى عالم الواقع والحس والمأساة ، فلم تنفجر ثورة (سبارتكوس) على نظام العبودية فى روما لولا أسبقية فكرة سقراط المبدعة وريشته المصيرية ٠ وقس على ذلك كل ما كان يطرأ من تغيير لقوانين الظلم والاضطهاد فى العالم فقد سبقته الفكرة التدليلية المبدعة ٠ فوقفة حب لكل شاعر أو مفكر أو فنان نقل الجماهير الى واقعها وعبأ طاقاتها لتتفجر فى اللحظة المصيرية المناسبة ، وقفة اليهم من أى بلد كانوا وفى أية أمة ، فهم النور الذى يشع على الانسانية ووقدة أملها ٠٠ لوركا ـ بوشكين ـ نيرودا ـ وشعراء الثورة الفلسطينية ، والذى أمامى الآن ديوان أحدهم يعرض ذاته من خلال هذه المسيرة فى انتظار تفجير اللحظة المصيرية لجماهير الامة العربية ٠

لننظر من هذه الابيات الى قدرة الزميل الشاعر محمود علي السعيد وريشته المصيرية التدليلية في هذا النقل الى الواقع عندما عاشت الامة الفصام ما بين الاصابع المستغلة والمسيطرة، والتضحية الشعب عبر هذا التسلسل الضاغط الرائع القادر على شل داء الفصام في ذهنية الجماهير المرضية :

وبينما الاصابع المسيطره
تعبىء العدول بالحصاد
تنفست ضحية وأبرقت
وشاعت الفضيحه

لقد شاعت فضيحة المؤامرة ما بين الأداة المسيطرة والمستغلة وارادة طمس الضحية وما بين رغبة الامة في التنفس والرؤية الواضحة ، وهنا يتدخل محمود ليلعب اللعبة النبيلة بحيث لا يترك الجماهير تتخبط في الدوامة العشوائية بل هو يشير الى الطريق ويرسم ويدل كأي فارس أسطوري نبيل ، كبوشكين أو لوركا أو غيرهما من شعراء الحرية :

والطلقة الوضيعة الهدف
مقاتله
على حدود الوقت والغسق

أجل إن أردأ طلقة يطلقها ثوري على نظام مستغل خائن لهي وضيئة ورائعة ، وهي اللحظة الانبثاقية في ميلاد الامة وانتصار العدالة حيث ينغلق باب استغلال الانسان للانسان الى النهاية ، وتتألق الحرية :

الباب في تباطؤالفصول ينغلق
ونعلن انتصارنا العظيم
في الصبر والمكابره
....
أقول للرجال
النصر قاب طلقة
النصر قاب طلقة

ففى هذا التدليل الرائع بالنصر قاب طلقة تتكامل الفكرة وتتجسد نبالة ريشة الفنان المبدعة التى دلت الجماهير المضطهدة على هذه الطلقة حيث لم يقل مثلا ـ على طريقة مخدرى ثورات الجماهير ومضلليها :

النصر قاب لحظة

النصر قاب لحظة

حيث حددها بالطلقة ، والطلقة وحدها هى اللحظة التفجيرية المصيرية ٠
وهكذا يتحدد وجود العملاق الفنان فى الامة من حيث قدرتـه على بلـورة ارهاصاتها الثورية والكشف عن انتهازية التيار الحائل دون انتفاضتها وذلك بجرأة المبضع الثاقب للبؤرة المرضية :

مصيرنا يغير اتجاهه

فلنبدأ المواجهه

فلنبدأ المواجهه

ومن أين تستطيع الجماهير المستضعفة المواجهة دون تسليط أضواء الفكرة الطبقة السائدة الانتهازية الثورية المعاصرة الكشافة على أفكار المتسلطة فى زمن ما ٠ لتتاح للافكار الثورية الجديدة أن تأخذ مداها حيث يبدع محمود فى تصوير فكر هذه الطبقة وعفونته فتشخصه لنا حيث يتحرك وله قـوام ونمـاء وعيون وأطراف كأنى به امرؤ القيس من حيث يصور الليل فيقول :

فقلت له لما تمطى بصلبه

وأردف أعجازا وناء بكلكل

فان كانت فكرة التشخيص التمثيلى مستمدة من شاعر أسبق أو مجرد لقاء أفكار عن طريق الصدفة الا أن شاعرنا الحديث أجاد فى وصف فكـر الطبقـة السائدة فى مجتمعه ، وتصوير انتهازيتها على هذا الشكل الحركـى الســاحر حيث يقول :

الفكر فى بلادنا

عظيمة رؤاه

روافد النماء فى عيونه غطاء

فواكه الخلاص فى أطراف محتواه

تمور بالغنى
خرائط الاشياء فى وجوهها أصاله
سقوطها القصى
من نقطة الترفيه فى انتقالها
لنقطة الصيالة

فبعد هذا النقد يعود الشاعر ليدل الجماهير الى الطريقة التى يجب أن تنهجها كى تصل الى الخلاص مؤكدا بأنه فنان ملتزم لا يترك مجالا للتضليل العشوائى أن يظهر بأدبه فهو ابن قضية وعليه أن يدلل حتى آخر رمق :

تأشيرة الدخول فى كشوفنا الجديدة
مرهونة بوقفة
تستقرىء القديم
تخطيا له

فلا بد قبل ارادة العبور الى اللحظة المصيرية من المرور فى هذا الباب حيث استقراء الحوادث الماضية للاستفادة من التجربة التى أدت الى الانهيار والتخلص من الخطأ ليتسنى للدفعة الثورية السليمة ان تستمر فى سيرها ٠ فهو هنا ليس ذا فكر ثورى فحسب وانما يلعب دور المحذر والناقد للثورة الانتهازية :

٠٠٠٠٠ دراية
تفرق التماعة الزجاج
تميز الخطوط فى دوائر الخطأ
٠٠٠٠٠٠٠٠٠
وتبدأ المفارقه
ما بين شكل الموت فى الهروب
والشكل فى المواجهه

إن وجودى يتميز فى هذا العالم عندما أفعل فيه ، عندما أغيره ٠ وليس الاكتفاء بطرح المقولة الفلسفية الكونية العالم كذا٠٠٠ العالم كذا ٠٠ كهذا الطرح :

خلاصنا من ربقة الزمان
والمكان
أن ينصف الانسان

فلا ادرى من معنى لهذا الربط بين الزمان والمكان وهذا الطرح لانصاف الانسان بدون وجود الفعل والحركة والصورة والا أصبح الشعر مجرد مقولة ، ولكن لا يلبث ان يفلح الشاعر بنقلنا الى قدرة الفعل والحركة حيث يقول :

أن ترفق الاصابع الشريرة المرامى
بالنبتة البطيئة النمو
بالطير فى قيلولة الفروع
أن تسقط الامطار فى الضلوع

مع اعتراضى على إضافة المرامى الى الشطر الاول من حيث حددت الاصابع بكونها شريرة اذ من البداهة أن تكون مراميها شريرة كذلك ، فهذا مما يحاصر الشطرة ويعكس الاطالة ٠

إلا أن صورة إبداعية شعرية جديدة كهذه الصورة الفكرية الحركية تبرر للديوان فنيته الجمالية ٠ انظر لهذا العرض المبدع لحركة الصيرورة فى الحياة والمجتمع والثورة ، والتكامل من حيث نقل الفكرة :

وسقطة الكهولة
بفورة الربيع والمياه والفتوة
تبرر الحضور
بالخرافة
والفوز فى قراءة الزمن
....
....
الهجس فى مرآتنا
يجسد الاشياء
يصير الظلال أمة
مدائنا تخب بالحضارة

إن كثرة هذه الوحدات الفنية الشعرية المضغوطة تعطى للديوان مصيرا فنيا واضحا ، وقدرة بقاء زمنى أكثر فى ذهنية الجماهير ٠

ع٠ ى٠

(سوريا)

أصداء الفكر

الصديق الاديب مازن حجازى الذى تقرأون له فى هذا العدد قصة « يمنع البكاء فى الساحات العامة » ـ كان منذ أشهر قليلة فى زيارة لتونس الخضراء ، وقد أوحت له هذه الزيارة بمشاعر رقيقة سجلها وأرسل بها إلينا بطاقة حب وعربون مودة ، ونحن ننشرها فيما يلى تقديرا لعواطف الصديق الاديب النبيلة .

خمسة أيام في تونس

ـ 1 ـ

تهبط حبة المطر على الارض العطشى شهيدة التضحية والعطاء .. هدية من السماء للارض بلا مقابل .

وأنت أيتها الفتنة الطالعة من قلب افريقيا الخضراء .. الواقفة بكبرياء على شواطىء المتوسط .. لماذا تمنحين كل هذا الجمال للمسافرين والعابرين دونما مقابل ؟!

ـ 2 ـ

أيها القبطان .. أيها البحارة .. انشروا قلاعكم .. واقطعوا البحار الى المدن الاخرى .. ولكن بالله عليكم تناسوا انني مسافر على مراكبكم التى لا تتوقف .. واتركوني أنعم بالحياة على شواطىء تونس .. اتركوني فقد ناداني فيها كل طير غرد على اشجارها .. أبواب بيوتها البيضاء فتحت مرة واحدة لاستقبالي .. فاتركوني أعبر الابواب .. أودعوني هائما بين غاباتها العذراء الملتفة حول كل بيت والسائرة مع كل درب .

ـ 3 ـ

المرسى .. ليس فى مفردات اللغات التى اعرفها ما يوفيها حقها من الوصف .. لافتات لشوارع ورود تسبق نظرك فى كل درب ..

جمال فى الطبيعة يوازيه جمال فى الانسان هناك .. جمال يحاصرك من البحر الى الجبل .. واحة حب وفتنة تعلو جبهة القارة الافريقية .. تاج من الحسن يراه كل من يمر بها .. بسمة يلمحها المسافر فوق شفاه العذارى وعلى جدران المنازل .

كيف أصفها .. كيف أصف الحسن عندما يفوق ما كنت أتخيله.. كيف تصف الكلمات جمالا لا عهد للجمال بمثله ، ولا قدرة للعقل على تصور مثيله ؟!

ـ 4 ـ

علياء .. طفلة تونسية .. تتخيل طلعتها البهية قبل ان تهبط المطار ، تلمحها على الشرفات تلوح لك .. تظنها واقفة على الطريق تنتظرك ، ثم ـ ويا لأعجوبة الجمال فى تونس ـ تراها فى أول طريق تسلكه ، وتلتقى بها فى أول مصادفة .

علياء .. وجه ملائكى تزينه البراءة .. وتلازمه الطفولة رغم كل ما يحمله مرور السنين للآخرين .. وعندما تبتسم علياء تبتسم الدنيا عن طريق بابها الاخضر .. وليس للدنيا مدخل الا عند طريق تونس .

ـ 5 ـ

فليسمع سكان اوروبا ضربات الطبول الافريقية !

ولينصت سكان آسيا لدقات قلبى وهو يتجول فى وديان تونس وبين غاباتها .

وليهتف سكان العالم للمحبة والجمال المستسلمة بلا قيد أن شرط بين احضان الطبيعة وفى قلوب أهل تونس .

وليردد كل طير ملحمة اللقاء والفراق بعد رحيلى .

أما انتم يا أهل تونس .. فبالله عليكم لا تذكرونى .. ساعدونى على النسيان .. قولوا لمن يمر بدياركم : كان فى بلادنا فتى رحل دون ان يلبى رغبات قلبه .. قولوا لمن يسأل عنى بانى ارتحلت مرغما .. رحيل آدم من الجنة .. وخروج يوسف من بيت أبيه .

لا تقولوا انكم سلبتم قلبى وجوارحى .. فانتم أكرم من ان تسلبوا شيئا .. ولكنكم حضنتم قلبى بمحبة .. وسرتم بين الوديان والغابات تعزفون أناشيد الحب والحياة .. كما تفعلون دائما ..

◆ « عشرون » للشاعر محمد الشعبونى :

كاتبنا الشاعر محمد الشعبونى وهو على فراش المرض بمدينة كريتاى بفرنسا قائلا أنه لم ينس (الفكر) وأعياده ومسيرته ٠٠ وقد خطرت بباله ذكرى مرور عشرين سنة فدونها فى أبيات وأرسلها الينا ونحن نتولى فيما يلى نشرها متمنين للاستاذ الشعبونى عاجل العافية ٠

يا صاحب الفكر عش يا(صاحب الفكر)	و (الفكر) حى طليق خالد الذكر
عشرون عاما مضت و (الفكر) منطلق	تحدو مسيرته روح من الطهر
أفديك يا فكر فى سترى وفى علنى	أفديك بالروح والغالى من العمر
أفدى (محمدنا) وهو الوفى لنا	بكل شىء عزيز عز فى الدهر
لو كنت أقدر صغت اليوم ملحمة	أحكى بها قصة الايمان والصبر
لكنه القدر الجبار قيدنى	ورغم قيده لم أخضع الى الأسر
خذها من القلب والأيام سائرة	تحية الصدق والاخلاص والشعر
خذها (محمد) والعشرون ماضية	باقات زهر ندى خالص العطر
إن عشت للعيد عيد الاربعين فمن	سواى يكتب للاجيال فى فخر
ويرفع الصوت معتزا ومفتخرا	يا صاحب الفكر عش يا صاحب الفكر

◆ حول مقال « من آثار ابن أبى الضياف المخطوطة (الفكر ـ جويلية 1975) »

◆ الرجاء اصلاح الخطأين المطبعيين :

ص 22 ـ السطر 14 : أمسى ← أمشى ٠
صفعنى ← سطعنى ٠

◆ نظرا لمرور عدة أشهر على كتابة المقال ، نضيف ما يلى :

1 ـ من المصادر حول ابن أبى الضياف :
البشير التليلى : دراسات فى التاريخ الاجتماعى التونسى فى القرن التاسع عشر ـ تونس 1974 (بالفرنسية) ٠

2 ـ نفضل نسبة المخطوط رقم 2515 « أشهر ملوك الشعر ٠٠٠ » الى مجهول لا المسعودى (ص 12) ٠

3 ـ ثبت لدينا نسبة القطعة الشعرية الثانية فى جدول الاشعار ص 15 ٠ الى المسعودى لا ابن أبى الضياف ٠ ٠

4 ـ عثرنا على ظهير وجهه أحمد باى عند سفره الى فرنسا الى أخيه محمد باشا بتاريخ 1262/1846 ، وهو نص مختلف عن المكتوب الذى عددناه فى الكتابات الرسمية لابن أبى الضياف ص 13 ٠ (انظر : محمد المقداد الورتانى : كتاب النفحة الندية فى الرحلة الاحمدية ـ تونس 1355/1936 ص ص 310 ـ 313) ٠

◆ كتب جديدة :

◆ قابادو : حياته آثاره وتفكيره الاصلاحى (360 ص) ، تأليف عمر ابن سالم ، نشر مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية ٠

◆ يمثل هذا الكتاب العدد الاول من سلسلة الدراسات الادبية ٠

◆ يهدى المؤلف كتابه هكذا : « الى الاستاذ محمد مزالى الذى فتح لى باب العمل للقيام بهذه الدراسة » ٠

◆ ويذكر فى المقدمة أن عمله هذا قدر مشترك بين النقد الادبى والتاريخ ، فهو يتناول بالتحليل شخصية الشاعر الكاتب محمود قابادو المتوفى فى 1288هـ/1871م ، كما يتناول بالدرس فى نفس الوقت ، ومن خلال آثار هذا الاديب فترة من أخصب فترات تونس فى القرن الثالث عشر التاسع عشر وهى فترة ادخال التنظيمات الخيرية » ٠

◆ بين دفتى هذا الكتاب دراسة ممتعة وضافية متبوعة بسبعة فهارس ٠

ونحن نشكره على اهدائه اللطيف ونرجو له اطراد الانتاج ومتواصل العمل المثمر ٠

* * *

أهدانا الباحث التونسى نور الدين سريب نسخة من دراسته عن « الاستعمار والاستقلال والتعليم » ٠ (نموذج من تونس) وهو من نشر المعهد القومى لعلوم التربية ٠ كما أهدانا فصلتين نشرتا برعاية مركز الابحاث والدراسات حول مجتمعات البحر المتوسط ، وعنوان احداهما : « مدخل الى افريقيا الشمالية المعاصرة » ، والثانية « ليبيا الحديثة ـ الفصال والمواصلة » ٠

الفهـرست

العدد 1 ـ أكتوبر 1975 ـ السنة الواحدة والعشرون

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**
سكرتير التحرير: **عبدالواحد براهم**
الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .
اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف
اشتراك الانصـار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21e Année N° 1 Octobre 1975

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس